محكم

صورة العربي في وسائل الإعلام الألمانية بعد "الربيع العربي"

بسّام عويضة

باحث فلسطيني

قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved

Mominoun Without Borders

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تقديم مساهمة في التفكيك الأنثروبولوجي الثقافي للبنية الداخلية، لفهم الرؤى في وسائل الإعلام الألمانية حول صورة العربي بعد عام 2011، والتغيرات التي حدثت خلال وبعد "الربيع العربي"، وإعادة بناء المجال الإعلامي عن المجال السياسي، سواء على مستوى اللفظ أو الدلالة المباشرة أو الدلالات المختزنة في النص والخطاب والصورة.

وتستند الدراسة إلى المنهج البنيوي الذي أخرج الخطاب من كونه بُنية لغوية إلى ميدانٍ للسلطة وموضوعٍ لها.

إنّ الاستنتاج الأساسي الذي وصلت إليه الدراسة هو مساهمة "الثورات العربية" في تغيير صورة العربي إيجابياً لدى الرأي العام الألماني بشكل طفيف خلال عام 2011، في أعقاب الحراك الاجتماعي الذي شهدته بلدان عربية، مثل تونس ومصر واليمن وليبيا، لكن سرعان ما تلاشى هذا التغيير عام 2012 بعد وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم.

وقد رصدت الدراسة وجود تأثير غير مباشر بين السياسة والإعلام في ألمانيا، وأظهرت الدراسة الأسباب الرئيسة التي أسهمت في ترسيخ صورة سلبية عن العربي لدى الرأي العام الألماني، مثل استمرار حالة التوتر والتنافس التاريخيين بين الديانتين الإسلام والمسيحية، والتحيز الأيدولوجي الغربي ضد العرب والمسلمين، كانعكاس للإمبريالية الثقافية الأوروبية.

كما لعب اللوبي الصهيوني في ألمانيا دوراً كبيرا، خاصة وأنّه يُسيطر على وسائل إعلام كبرى، وشركات اقتصادية، ونفوذ قوي داخل المؤسسات السياسية للدولة.

وألقت الدراسة الضوء على العلاقة الخفية بين أباطرة الإعلام، وأصحاب القرار في الدوائر السياسية، وتتمظهر هذه العلاقة غالباً في شكل رمزي، من خلال خطاب مبني على نظرية على درجة من التماسك تؤدي إلى إنتاج معرفة، في الشكل والمعنى، لخدمة سلطة سياسية وتحطيم سلطات، وإقناع الرأي العام بتصورات جديدة وإقصاء تصورات أخرى، والتصادم مع ثقافات معادية، دون أنّ تترك أي مجال أمام الرأي العام للنقد والسؤال.

وخلصت الدراسة إلى أنّ خطاب وسائل الإعلام الألمانية يكتسب سلطته من خارجه، وما تقوم به اللغة ليس أكثر من كونها ترمز لتلك السلطة وبنيتها، فليس شرطاً أنْ يُعّبر الخطاب عن الرأي العام الألماني، وإنما يُعبر عن القائمين على هذا الخطاب، ومعظمهم من المحسوبين أو المؤيدين للوبي اليهودي.

1- المقدمة:

تقع جمهورية ألمانيا الاتحادية في قلب القارة الأوروبية، ويحيط بها منذ توحيد الدولتين الألمانيتين (الشرقية والغربية سابقاً) عام 1990، تسع دول مجاورة، وتبلغ مساحتها 3.570.22 كيلو متر مربع.

وقد بينت دراسة رسمية ألمانية أُجريت عام 2012 أن عدد السكان الألمان بلغ 2 :80 مليون شخص؛ أي أقل ب 5 :1 مليون نسمة مما كان متوقعاً، ويصل العدد الحقيقي للأجانب في ألمانيا 2: 6 مليون نسمة أي بنسبة 7.7 %.[1]

كما يبلغ عدد المسلمين في ألمانيا 5. 3 مليون نسمة، معظمهم من الجالية التركية، في حين يبلغ عدد العرب 250 ألف عربي منهم 90 ألف فلسطيني، بينما يعيش في أوروبا حوالي 20 مليون مسلم، حصل منهم 40 % على الجنسية الأوروبية.[2]

لقد بُني أول مسجد في القارة الأوروبية في العاصمة برلين عام 1866، وهو مسجد "ونزدورف"[3] وكان مخصصاً للجنود الأتراك الذين يخدمون في سلاح الفرسان في الجيش الروسي.[4]

وقد ارتفع عدد المساجد في أوروبا من 382 مسجداً عام 1961 إلى 2124 مسجداً عام 1981، ثم إلى 5000 مسجداً عام 1991، ثم إلى 6000 مسجداً عام 1995، وهذا يعني أنّ عدد المساجد تضاعف 140 مرة خلال 30 عاماً.[5]

وفي ألمانيا، كان عدد المساجد 10 مساجد عام 1961، ثم ارتفع العدد إلى 50 عام 1971، ثم إلى 600 مسجداً عام 1981، ليصبح 1000 مسجداً عام 1991،[6] في حين يبلغ عدد المساجد في العاصمة الألمانية "برلين" لوحدها 75 مسجداً.[7]

لقد شَكلت الهجرة من تركيا عاملاً مهماً بعد الحرب العالمية الثانية في عودة العمران إلى هذا البلد؛ فقد "أدى أول اتفاق بين وزارة الخارجية التركية ووزير العمل في ولاية" شلاسفيك هولشتاين، "إلى وصول اثني

---

[1]- http://www.almania.diplo.de/Vertretung/almania/ar/01/02

[2]- "حقائق عن ألمانيا"، صادر عن وزارة الخارجية الألمانية، 2003، ص ص 9-15

[3]- Wunsdorf

[4]- Nielsen 1992, p.2

[5]- عبد الرزاق 2010، ص 69

[6]- عبد الرزاق 2010، ص 70

[7]- وكالة الأنباء الألمانية (د ب أ): "مسلمو برلين تحت وطأة الشعور بالاشتباه بعد هجمات أمريكا، صحيفة "القدس"، القدس، 1. 10. 2001، ص 9

عشر حرفياً تركياً إلى ميناء " كيل "في شهر نيسان / أبريل عام 1957".[8] وبعد ذلك توالت هجرات العمال الأتراك أو ما كان يطلق عليهم "العمال الضيوف".

ويكفل الدستور الألماني حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية للمهاجرين؛ فالدولة في ألمانيا لا تعتبر علمانية كما هو الحال في فرنسا، بل تعتبر دولة "حيادية"؛ أي لا تتخذ أي موقف إزاء القضايا الدينية.

تكمن أهمية البحث في كونه أحد الأبحاث النادرة التي تتطرق إلى التصدي لاختلاف صورة الإنسان العربي، قبل وبعد "الثورات" التي اندلعت في بعض الدول العربية.

فقد بدأ تحول في الصورة التي تعتمد على قوالب نمطية سلبية جاهزة، مثل "الشرقي المتوحش" و"العربي الخانع" و"الشرقي العصي على التنوير" و"الإرهابي"، إلى صورة الثائر الذي يُطالب بدولة عصرية يحكمها القانون والدستور واحترام حقوق الإنسان.

تاريخياً، وسائل الإعلام الألمانية متعاطفة تقليدياً مع الدولة العبرية؛ فقد تبنت الصورة الكلاسيكية النمطية عن المواطن العربي، باعتباره رجلاً بدوياً، يعشق الجمال والصحراء والخنوع والتملق للحاكم، ليس له انتماء حقيقي للدولة المدنية العصرية.

لقد رسّخت وسائل الإعلام الألمانية، صورة نمطية كلاسيكية بعيدة عن الحقيقة والواقع عن العربي عند الرأي العام الألماني، وخاصة بعد أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001، وتركزت هذه الصور عن معظم الدول العربية، مع تركيز شديد جداً على السعودية، حيث اشتملت على أن العربي رجلٌ صحراويٌ ملتحٍ، يرتدي اللباس الباكستاني القصير، ما يزال يعيش حياة البداوة، ولا تمت حياته للحياة العصرية بأية صله، لا يطبق أياً من قوانين حقوق المرأة مثلاً في حياته، ولا يعترف بتلك الحقوق، بل يُقدم على قتل امرأته أو ابنته إذا ما عرف أنها تحدثت مع رجل غريب عنها، ويعمد إلى تزويج بناته وهن في مقتبل العمر، مستعد لتفجير نفسه في أيه لحظة، لأنه ينتمي إلى جماعة إرهابية تكره المجتمع الذي يعيش فيه، بل يعتبره مجتمعاً كافراً، والأدهى من ذلك تسوق تلك الوسائل الإعلامية أنّ العربي خانعٌ دائماً للسلطة السياسية الحاكمة، لا يحب العيش الحر، يتلقى الأوامر، وينفذها بحذافيرها، لا يتقن إلا فن السمعِ والطاعة.

في المقابل، لدى وسائل الإعلام الألمانية الاستعداد التام لإنتاج عشرات البرامج التي تكلفها آلاف اليوروهات عن شخص بسيط، متدين بطريقة ساذجة، يعيش في برلين، وتدّعي أنّها "عثرت على شخص خطير من منظمة القاعدة، يتحين الفرصة لتفجير نفسه في أيه لحظة"، بينما غير مستعدة لدفع يورو واحد لقاء إجراء مقابلة مع طبيب أو خبير عربي.

[8]- نيلسن 2005، ص 53

وهذه العنصرية الممنهجة، انتقلت بدورها إلى الملاعب الرياضية، والشوارع العامة، محطات القطارات، أمام المساجد والجمعيات الإسلامية، وأحياناً في المقاهي والملاهي الليلية.

وهذا الأمر، مهد الطريق جلياً لقيام خلية نازية ألمانية بقتل تسعة أجانب في ألمانيا بين أعوام 2000 – 2007، وقد أصدرت الشرطة الألمانية عقب ذلك تقريراً، اعتقدت فيه أنّ عمليات القتل جاءت على خلفية أنشطة إجرامية لعائلات الضحايا، لهذا أصدرت سمية شميشك، وهي ابنة إحدى الضحايا الأجانب التسعة، كتاباً بعنوان: "الوطنُ المُؤْلم".

والدليل على وجود صور نمطية عن العربي في ألمانيا أمرين؛ الأول: دعوة المستشارة الألمانية انجيلا ميركل [9]، في مستهل قمة الاندماج السادسة للحكومة الألمانية التي عُقدت في العاصمة برلين بتاريخ 28.5 2013، والتي دعت خلالها إلى "تجنب الأحكام المسبقة بحق المهاجرين، ويجب إخراج ذلك من العقول".[10]

والأمر الثاني، الدراسة العلمية التي قامت بها المؤسسة الألمانية للاندماج والهجرة، والتي نُشرت في شهر آذار 2013، حيث جاء فيها أنّ 74 % من الأجانب في ألمانيا و 71 % من الألمان، يعتقدون أنّ "صورة المسلمين في وسائل الإعلام الألمانية بالأحرى سلبية" أو "سلبية جدا".[11]

ويرى أمين مزيك رئيس المجلس المركزي للمسلمين، أحد أهم المنظمات الإسلامية الأربع في ألمانيا، أنّ نتيجة الدراسة تتطابق مع محتوى الرسائل التي يبعثها المسلمون إلى المركز؛ مشيرا إلى أنه بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، باتت "الشبهة تُطاردُ المسلمين"، كما ازدادت التقارير السلبية حول الإسلام، لأن الخطاب الإعلامي الألماني بات لا "يفرق بين التطرف وبين الإسلام".[12]

وقد أطلق أمين معلوف[13] في كتابه "الهّويات القاتلة" [14] مخاوفه من أن "الانتشار الشمولي والكبير لوسائل الإعلام، يساعد على بلورة هيمنة، لا يبقى فيها صدى لأي رأي مغاير، فتدفق الصور والكلمات لا يترك دائماً مجالاً للروح النقدية"، وبحسب جان بودريار[15]، فأنها "تنقل لنا عالم الواقع المفرط؛ فالواقع الحقيقي لم يعد موجوداً، بل استَّعيض عنه بما نشاهده على شاشة التلفاز من مشاهدٍ وصورٍ وأحاديث وتعليقات".[16]

---

[9]- المستشارة ميركل تعتبر من أقطاب الحزب المسيحي الديمقراطي الحاكم.

[10]- www.dw.de. 28.05.2013

[11]- تقرير من موقع "دويشي فيللي" الألماني، كاوديا بيرفيزانوز/ عبد الرحمن عمار، بتاريخ 28. 4. 2013

[12]- م. س.

[13]- معلوف، كاتب لبناني.

[14]- انظر كتاب "الهويات القاتلة"، للكاتب اللبناني أمين معلوف، ترجمة جبور الدويهي، بيروت، دار النهار، 1999

[15]- بودريار، مفكر فرنسي.

[16]- ياسين 2006، ص 11

ومن أجل الوصول إلى أهداف الدراسة وغاياتها، قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول، بالإضافة إلى النتائج.

ففي الفصل الأول، يتناول البحث إشكالية العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب، وكيف لعب التنافس الديني بين الإسلام والمسيحية دوراً في تكوين صورة نمطية سلبية عن العرب لدى الرأي العام الألماني، كما تم التطرقُ إلى عددٍ من المستشرقين الغربيين وخاصة الألمان.

وفي الفصل الثاني، يتطرق البحث إلى صورة العربي في الإعلام الألماني قبل 11 سبتمبر 2001، والتحول السلبي تجاه الإسلام خلال تلك الفترة، والدور الكبير الذي قام به اللوبي الصهيوني في ألمانيا لتعزيز هذه الفكرة، مقابل الابتزاز الذي كان يقوم به لإجبار الشركات والمصانع الألمانية على دفع الآف اليوروهات، كتعويض عن المذابح التي ارتكبت بحق اليهود إبان الحرب العالمية الثانية، وما ترتب على ذلك من تحيز مطلق تجاه السياسة الإسرائيلية الظالمة بحق الشعب الفلسطيني، وتشريده من أرضه التاريخية.

وفي الفصل الثالث، اشتمل البحث على صورة العربي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، والذي شكل ذروة الصورة النمطية تجاه العربي في وسائل الإعلام الألمانية، والدور الكبير الذي لعبه الإعلام الألماني في تشويه صورة العربي، باعتباره رجلاً صحراوياً، ما يزال يعيش حياة البداوة، يمارس الإرهاب، وخانع دائماً للسلطة السياسية الحاكمة، لا يتقن إلا فن السمع والطاعة، وتركيز معظم الأخبار والتقارير والصور في هذه الفترة على السعودية.

وفي الفصل الرابع والأخير، تطرق البحث إلى صورة العربي في وسائل الإعلام الألمانية بعد "الربيع العربي"، والتغير الذي حصل على صورة العربي الكلاسيكية عام 2010، خاصة بعد الحراك الشعبي في تونس ومصر واليمن، والتي سرعان ما تغيرت إلى الأسوأ بعد وصول الحركات الإسلامية، مثل جماعة الإخوان المسلمين والسلفيين وحركة النهضة التونسية إلى منصة الحكم. بعد ذلك، وُضعت نتائج البحث.

2- حالة البحث:

إشكالية الدراسة:

بعد اندلاع الحراك الاجتماعي في بعض الدول العربية، مثل، تونس وليبيا ومصر، تكون مشهدٌ متناقضٌ عن شخصية العربي في العقل الجمعي لدى الرأي العام في ألمانيا، ذات الثقل الأوروبي الكبير.

سؤال الدراسة:

إلى أي مدى أسهمت "الثورات العربية" في تغيير صورة العربي لدى الرأي العام الألماني؟

فرضية الدراسة:

يفترض البحث وجود اختلاف في صورة العربي، في العقل الجمعي للرأي العام الألماني قبل وبعد "الثورات العربية"، بفعل تغير الخطاب الإعلامي الألماني ذاته.

ويفترض الباحث أنّ أدوات خلق المعرفة، أصبحت ذات تأثير أكثر من مضمون المعرفة نفسها.

الإطار النظري:

ستقوم هذه الدراسة على فكرة نقد القائمين على وسائل الإعلام الألمانية.

تنص "النظرية الثقافية النقدية"[17]، المعروفة باسم مدرسة فرانكفورت[18]، والذي يُعتبر الفيلسوف الألماني يورغن هبرماس[19] من أبرز مراجعها الكبار، على أن "المجتمع يعاني من ظلم واستعباد أولئك الناس الذين يسيطرون على وسائل الإعلام".[20]

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية البحث في إعادة السؤال حول الصورة النمطية للعربي في وسائل الإعلام الألمانية، والتأثير الذي أحدثه "الربيع العربي" في صورة العربي في وسائل الإعلام الألمانية، ودراسة حقل ثقافي جديد، وهو الإعلام في القراءات المقارنة "الثقافة المقارنة"؟

كما تسعى هذه الدراسة، إلى تقييم الدرجة التي تصب بها المعالجة الإعلامية لصورة العربي، في سياق دعم مفهوم حوار الثقافات، أو تأكيد مفهوم صراع الثقافات.

نوع البحث:

يندرج هذا البحث ضمن الأبحاث الكيفية، فمن خلال هذا المنهج سيتم تحليل الأبعاد الكيفيّة لحضور صورة العربي في مجلة "دير شبيغل"، والتحولات المحتملة بعد "الربيع العربي".

منهج البحث:

تتبوأ اللسانيات، بين كل العلوم الإنسانية، مكانة مميزة ومركزية عند ما فوق البنيويين؛ "فالتصور ما فوق البنيوي لهذه الأداة مختلفٌ عن التصور الأنجلوساكسوني المألوف، من حيث كون الأول قد أسَسه مفهوم

[17]- Critical Cultural Theory

[18]- The Frankfurt School

[19]- يورغن هبرماس، ولد عام 1929 في مدينة دوسلدورف غرب ألمانيا، يُعتبر من أبرز علماء الاجتماع والسياسة، له حوالي خمسين مؤلفاً.

[20]- الموسى 2009، المدخل في الاتصال الجماهيري، ط6، ص 206

"اللسان" كما قدمه العالم السويسري فرديناند دي سوسير[21]؛ فقد رأى أنّ الواقع الحقيقي للكلام يجب أنْ يأخذ الأسبقية على الكتابة؛ بمعنى أنّ نسقَ اللغة عموماً يجبُ أنْ يسبق المجموع الكلي لكلّ التلفظات".[22]

سيخطو الباحث على أثر بيير بورديو في تحليل الخطاب سوسيولوجياً، لإخراجه من دائرة التحليل اللغوي بتجلياته الكلام أو النص، عن طريق ربط الخطاب بمسألة السلطة، فبورديو يرى أن "الخطاب يكتسب سلطته من خارجه، وما تقوم به اللغة ليس أكثر من كونها ترمز لتلك السلطة وتبنيها، ذلك أنّ سلطة الخطاب تتعلق بالشروط الاجتماعية لإنتاج المعرفة " فالخطاب لغوي"، لكن "مكمن قوته أو سلطته تأتي من الخارج؛ أي من العلاقات والمؤسسات الخارجية".[23]

ومن هنا، سيقوم الباحث بالولوج إلى تحليل الخطاب، متكئاً على المنهج البنيوي.

ويرى بعض النقاد، أنّ نظرية تحليل الخطاب تعتبر بنية سطحية لبنى عميقة، ولكنها لا تغطي المشهد كاملة؛ فعلى الرغم من أنّ هذه المدرسة تغطي علاقة الخطاب بالسلطة ومؤسساتها وتشابكاتها السياسية، بهدف إنتاج معرفة لخدمة سلطة سياسية، إلا أنها لا تغطي مجالات كثيرة ومهمة، مثل تحليل المضمون والمفردة اللغوية، وتفكيك المؤلف أنثروبولوجياً ونفسانياً واجتماعياً، ودراسة آلية إنتاج المعرفة ودراسة أنساق العلامات في المدرسة السيمائية، مثل الرمز والإشارة والشارة والشعار والاستعارة، والعرض والمختصر الحرفي واللون.

العينة والأدوات:

سيركز الباحث على تحليل عينة قصدية مكونة من 20 عدداً من مجلة "دير شبيغل" الألمانية التي تتمتع بانتشار إعلامي واسع في العالم، وستكون العينة هنا باللغة الألمانية، علماً أنّ المجلة أسبوعية.

- الأسلوب الثاني، رصد قناة التلفزة الألمانية "دويشي فيللي"، عبر اختيار عينة عشوائية تتكون من عشر نشرات إخبارية، وعشرة تقارير، وستكون العينة هنا باللغة العربية، علماً أنّ القسم العربي في التلفزيون يبث ست ساعات يومياً.

- وستشمل العينة جميع أنواع المواد الإعلامية، من: أخبار، تقارير، قصص، ريبورتاجات، ملفات خاصة، تحقيقات استقصائية، مراجعة لكتب، وصحف، مجلات، سير شخصية، بريد قراء، صور، تحقيقات مصورة، جداول إحصائية، وكاريكاتيرات.

---

[21]- Ferdinand de Saussure

[22]- هارلند، ريتشرد 2009، ط2، ص 20

[23]- حميدان، زياد محمد 2010: "بنية خطاب حركة حماس، قراءة سوسيولوجية"، أطروحة ماجستير، إشراف: د. إسماعيل الناشف، جامعة بيزيت،غير منشورة، ص 12

- كما ستشمل العينة جميع المحاور، بما فيها القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والدينية والرياضية، ولاسيما حوار الحضارات أو صراع الثقافات، وملف مقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، والتطرف والاندماج والتسامح والإرهاب والأديان والمذاهب، الإعلام والنشر الحريات العامة والسلم والحرب، حرية المرأة والحجاب والنقاب، السينما والأدب والمسرح، الهوية الوطنية، الفقر، الأمية والتربية والتعليم، السياحة، الجنس، ثقافة الموت والحياة، العمارة، الزواج والطلاق، وغير ذلك.

- يعود السبب في اختيار الفترة الزمنية لهذه العينة، لأنّها جاءت بعد زمن الذروة "للثورات العربية".

- من أدوات جمع البيانات، إجراء مقابلات حية ومعمقة مع عدد من الصحفيين وذوي الخبرة.

حدود الدراسة:

الإطار الزمني:

تغطي الدراسة الفترة الواقعة ما بين كانون الثاني وحتى شهر تموز 2013

الإطار الجغرافي:

يغطي البحث الأراضي الألمانية.

الدراسات السابقة:

تطرقت عشرات الكتب والدراسات الأكاديمية والأبحاث العلمية إلى صورة العربي والمسلم، سواء في العالم الغربي أو في الشرق العربي؛ فقد نظر الشاعر الألماني يوهان فولفغانغ غوته[24] إلى الإسلام نظرة إيجابية، وتغنى بحضارة الشرق ومدحها في قصائده، بعكس بعض الأدباء والشعراء الألمان الآخرين.[25]

كما يُعتبر المستشرق الألماني ثيودور نولدكه (1836- 1930) أول من تناول القرآن من زاوية تاريخية؛ فقد كتب (تاريخ القرآن) عام 1859 في ثلاثة أجزاء، وكان عبارة عن أطروحة دكتوراه.

وتعتبر أيضاً، أستاذة الدراسات العربية في جامعة برلين الحرّة، والمديرة السابقة لمعهد الدراسات الشرقية التابع للجمعية الألمانية الشرقية في بيروت، أنغليكا نويفيرت، من كبار المهتمين بالتاريخ العربي والإسلامي في ألمانيا، وترأست المشروع البحثي الذي يحمل عنوان "نصوص القرآن".

[24]- غوته 1749 - 1832 شاعر ألماني.
[25]- موقع "دويشي فيللي" ألماني، بتاريخ 11. 6. 2013، قسم الشؤون الثقافية.

وتحت عنوان "فرادة القرآن"، تقول "على الرغم من القراءات المختلفة، تسعى أبحاث القرآن الجادة في الشرق والغرب بلا ريب، للتوصُّل إلى أمرٍ مُشابهٍ، ألا وهو تجلّي المعنى الكامل للنص. ويجري الحديث في الإسلام عن "عدم إمكانية تقليد القرآن"، وعن "فرادته" الأدبية والدينية، بينما تبحث بحوث القرآن التاريخية بدورها، عن ميزةٍ فريدةٍ من نوعها يُحددها التاريخ، وهي تتحدث عن كون القرآن "غير مسبوق"، وعن الابتكار الذي أتى به إلى ثقافة النقاش في أواخر العصر الكلاسيكي القديم، كلا النهجين يمكن أنْ يكمِّلا بعضهما بعضًا".[26]

ولكن، ليس كل من كُتب من الألمان حول الشرق والإسلام كان إيجابياً؛ فعلى سبيل المثال لم يكن هيغل يعرف عن الشرق والإسلام، رغم موسوعته الثقافية، الاّ ما يقوله المبشرون، فهو يقول: "الشهامة التي كتبها الفردوسي في القرن الحادي عشر، ليس لها أية قيمة كمصدر تاريخي ما دامت محتوياتها شعرية ومؤلفها مسلم".[27]

بل يذهب هيغل إلى أبعد من ذلك، فهو يقول: "أن العالم الشرقي لم يعرف أن الإنسان بما هو عليه إنسان حر، وإنما عرف شخصاً واحداً، وهو أن الحاكم حر، أما الحضارة الغربية لا سيما الأمم الجرمانية، فهي التي عُرفت بفضل المسيحية أن الإنسان هو حر".[28]

وفي كتابه "تغطية الإسلام، كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم" تطرق إدوارد سعيد إلى كيفية تشكيل الرأي العام الغربي عن طريق وسائل الإعلام؛ فقد بين أنّ: "وسائل الإعلام الغربية تصور أن المسلمين يهاجمون الغربيين والإسرائيليين باسم الإسلام، كدين، وكأنه يعود إلى كون الإسلام على هذا النحو، ويتناسى هذا الإعلام الظروف السياسية والمحلية والملموسة".[29]

كما يتطرق سعيد الذي شغل منصب أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا الأمريكية إلى الصحافي البريطاني روبرت فيسك من صحيفة "الإنديبندنت" اللندنية، وأشار إلى التشوهات الحاصلة في التغطية والتقرير الصحافيين، وبقي فيسك مركزاً على ما حدث بالفعل، لا على ما أراد المسؤولون الإسرائيليون والأمريكيون من العالم أن يعتقد أنه حدث".[30]

[26]- نويفيرت، أنغليكا: مقال، ترجمة: يوسف حجازي، مراجعة: هشام العدم، مجلة التبادل الثقافي الألمانية/ قنطرة 2011
[27]- هيغل، 1984، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، ط1، ص 50
[28]- م. س، ص 51
[29]- سعيد 2011، ص 37
[30]- م. س، ص 65

وُيشير سعيد، إلى أنّه ساد اعتقاد منذ القسم الأول من عصر النهضة في أوروبا، بأن "الإسلام دين شيطاني رجيم ،سماته النفاق والتجديف والغموض"[31]، وهذا الأمر انعكس على صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، التي صورتهم بأنهم منافقين وإرهابيين وغير قابلين للتطور.

وبّين سعيد، أنّ "وسائل الإعلام الأمريكية تختلف عن وسائل الإعلام الفرنسية والبريطانية ،لأن هذه المجتمعات تختلف اختلافاً كبيراً، والجمهور يختلف، والمنظمات والمصالح تختلف"[32]، لكن الأمر الذي يجمع وسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية، هو الصورة النمطية ذات الطابع السيء التي رسمتها عن العربي بتأثير من اللوبيات الصهيونية في الدول الغرب، كما بيّن سعيد في كتابيه "الاستشراق" و"تعقيبات على الاستشراق" أسس التفكير الغربي تجاه العرب والمسلمين، وبين أن الغرب تشكل وعيه تجاه الشرق على أساس الاستشراق.

وقال: إنّ "الدارسيين الأوروبيين، قاموا بوصف الشرقيين بأنّهم غير عقلانيين وضعفاء ومخنثين، على عكس الشخصية الأوروبية العقلانية والقوية والرجولية".[33]

في المقابل بين ألبرت حوراني، أنّ سعيد ركز على المبالغات العنصرية والعداء في كتابات المستشرقين[34]، كما رأى الناقد روبرت ايروين بأن سعيد "تجاهل دراسات المستشرقين من ألمانيا في القرن التاسع عشر".[35]

بينما تطرقت دراسات أخرى، إلى أن سبب غياب الاستشراق الألماني في كتاب "الاستشراق"، يعود إلى غياب الطابع الاستعماري عن تلك الدراسات، وهذا ما أكده سعيد في كتابه "تعقيبات في الاستشراق".[36]

ولا يزال موضوع الاستشراق واحداً من الاهتمامات الأساسية للمثقف العربي؛ فقد صدر عن دار "الساقي" كتابٌ بعنوان "صورة الشرق في عيون الغرب: دراسة للأطماع الاجنبية في العالم العربي" للباحث إبراهيم الحيدري الذي بين من خلاله الرأي الذي ذهب اليه إدوار سعيد، من أن الاستشراق شكّل أرضية خصبة لقدوم الهيمنة الاستعمارية الغربية إلى الشرق.[37]

وفي ندوة فكرية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء بالمغرب، نُوقشت خلالها أعمال هشام جعيط، صاحب كتاب "أوروبا والإسلام" الصادر عام 1978 في باريس، حيث تطرّق المشاركون إلى نظرة برنارد لويس، الذي يقول: "لا تحكم تاريخ أوروبا

---

[31]- سعيد 2011، ص 89

[32]- م. س ، ص 141

[33]- سعيد 1994 "الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء ترجمة كمال أبو ديب"، ص ص 65- 67

[34]- سعيد 2006: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد العناني، ص 517

[35]- Irwin, Robert 2006: The Orientalists and their Enemies, pp.150

[36]- راجع كتاب إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير: صبحي الحديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997، بيروت، لبنان.

[37]- انظر كتاب إبراهيم الحيدري: صورة الشرق في عيون الغرب: دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي، دار الساقي، بيروت، صدر عام 1996

وتاريخ الإسلام قصة سوء فهم أو سوء تفاهم، بل قصة صراع: ثمة تناظر بين الإسلام والمسيحية، لقد استُعملت كلمة جهاد من أجل إجبار الأمم الأخرى على الخضوع إلى سلطة الدولة الإسلامية، واعتبرت أوروبا في نظر الإسلام العدو الكافر".[38]

والرأي السابق مثله بلا شك، ليس العالمين الإسلامي والمسيحي، وإنما بعض التيارات المتعصبة لدى الجانبين؛ فقد قال صموئيل هنتنغتون في كتابه "صراع الثقافات"[39]، أنّ "المشكلة العميقة لدى الغرب، ليست في الأصولية الإسلامية، وإنما المشكلة العميقة تكمن في الإسلام، والتي تمثل ثقافة أخرى، وليست المشكلة لدى الإسلام جهاز الاستخبارات الأمريكي[40]، أو وزارة الدفاع الأمريكية، وإنما الغرب"[41]، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الخطاب السلفي الأصولي، الذي "يهاجم الحداثة"، ويرفض النماذج المجتمعية التي أنتجها الغرب، ويرى في اجتياح الحداثة للعالم الإسلامي، خطراً على الدين والهوية العربية والإسلامية".[42]

ومن أبرز دعاة هذا الخطاب سيد قطب، أحد رجالات الإخوان المسلمين في مصر الذي اعتبر في كتابه "المستقبل لهذا الدين"، "أنّ الغرب نبتة شيطانية".

وقد انتقد كمال عبد اللطيف الخطابين بشدة، وقال أنّهما: "يتبادلان الحقد، ويغذيان الجفاء المتبادل، رغم أنهما كُتبا في سياقين مختلفين، إلّا أن إطارهما الزمني والإيدولوجي لم يتغير".[43]

يمكن القول، إن نورمان دانيال في كتابه "الإسلام والغرب"، كان أقل تطرفاً في حكمه على العلاقة بين الجانبين؛ فالمشكلة تتمثل في سوء الفهم المتبادل الذي يعود أساسه إلى سوء تمثيل أحدهما للآخر، وإلى سوء استيعاب أحدهما للآخر".[44]

لقد ناقش الباحث الألماني المتخصص في شؤون الحركات السياسية الإسلامية، ميشائيل لودرز، فكرة الخوف من الإسلام في المجتمعات الأوروبية، أو ما اصطلح عليه بالإسلاموفوبيا في كتابه "لماذا يجب ألاّ نخاف من الإسلام؟".

---

[38]- الصادقي وآخرون 2011، ص78

[39]- ظهر هذا الكتاب على شكل مقال في مجلة "فورين أفيرز" الأمريكية عن صدام الحضارات عام 1993

[40]- CIA

[41]- Huntington 2002 , p. 350

[42]- أبو المجد؛ حارث 2011، ص 89

[43]- عبد اللطيف 2011، ص 77

[44]- م .س، ص ص 80- 81

وأصدر الباحث والخبير في شؤون الشرق الأوسط والعلوم الإسلامية، والمراسل السابق لصحيفة "دي تسايت"[45] الألمانية (وتعني بالعربية الزمن)، ميشائيل لودرز[46]، كتاباً عقب ثورات "الربيع العربي" بعنوان "أيَّام الغضب - الثورة العربية تغيِّر العالم"[47]، انتقد فيها نظرة الغرب إلى الأحداث التاريخية التي يشهدها العالم العربي.

يقول الكاتب: إنَّ "الثورات الديمقراطية العربية كشفت عن أنَّ المسّلّمات الغربية المزعومة هي مجرَّد كليشيهات وصور نمطية، والإسلام لا يشكِّل بالنسبة لجيل "الفيسبوك" عقيدة، وفي بعض النواحي لم يعد حتى حياة دينية بقدر ما هو أسلوب حياة، وأنَّ الغرب خاض حربين في العراق وأفغانستان من أجل تصدير الديمقراطية ولكن من دون نجاح، والآن يثبت العالم العربي أنه يريد التغيير بنفسه".[48]

ويضيف لودرز بقوله: "كانت قناة "الجزيرة" التي أوجدتها قطر عام 1996 أهم "عامل من عوامل التحديث"، ويتساءل لودرز هل تعتبر هذه الإمارة الخليجية دولة ذات جاذبية تسعى إلى التجديد والإصلاح، يجيب: أشك في ذلك، فعلى أية حال يمنع في قطر انتقاد الأمير كما أنَّ العملية الديمقراطة شبه معدومة هناك".[49]

كما أصدرت المصورة الصحافية مونيكا هوبر، والصحافية المتخصصة في شؤون الشرق الأوسط سوزانة فيشر، كتاباً بعنوان "الأخبار والثورة المتلفزة"[50]، حول تغطية الإعلام الغربي "للربيع العربي"؛ فقد قامت المصورة مونيكا هوبر بالتقاط (53) صورة ممن عُرِضَت في نشرات الأخبار التلفزيونية الأوروبية.[51]

تنتقد الكاتبتان التغطية الإعلامية الأوروبية للثورات العربية، وخاصة في القناتين التلفزيونيتين الألمانيتين الأولى والثانية[52]، من حيث الزمن؛ فطول التقرير الذي يُخصص لتغطية تلك الثورات هو دقيقة ونصف.[53]

[45]- Die Zeit
[46]- Michael Lüders
[47]- Die arabische Revolution verändert die Welt
[48]- http://ar.qantara.de
[49]- Ibid
[50]- Monika Huber, Susanne Fischer 2012 :"News - The Televised Revolution", Hirmer Verlag.
[51]- www.hirmerverlag.de
[52]- ARD ,ZDF
[53]- www.dw.de 21.12.2012

كما يتطرق الكتاب إلى "فقدان الثقة في الصُّور التلفزيونية؛ فالمشاهدين وصُناع الخبر، بدؤوا يميلون بشكل أكثر إلى عدم تصديق الصور الآتية من مناطق الصراع، خاصة وأنّ المشاهدين الآن باتوا على علم بأنّ هذه الصور تُستَغل في صناعة القرار السياسي".[54]

تقول الصحافية سوزانة فيشر: "لا يوجد مصداقية لدى هواة التصوير ،وبدلاً من ذلك، فإن الوكالات الإخبارية تبدو أكثر مصداقية بالنسبة للصحافيين الغربيين، رغم أن من يعملون في هذه الوكالات رافقوا المقاتلين والثوار، وخلافاً لما كان يحدث إبان حرب العراق، التي عَرَض أثناءها مؤيدو ومعارضو الغزو الأمريكي للعراق وجهات نظر متباينة للأحداث، يقف الصحافيون الغربيون بأكملهم تقريباً إلى جانب متظاهري الثورات العربية".[55]

ولهذا، يُشَكِّل كتاب "الأخبار والثورة المتلفزة"، دعوة إلى عدم الإعتماد على الصور المتلفزة بشكل كبير، بل الإصغاء أحياناً إلى ما يكتبه المدونون والمراسلون في المنطقة، والكِتاب يقدم في هذا الصدد مدخلاً جيداً لذلك.[56]

لقد قامت وسائل الإعلام الألمانية بتحويل الإسلام إلى "حجاب" و "إرهاب"، وبحسب كمال عبد اللطيف، فإن هذا التحويل "تنميط مخيف وعدواني، تختلط صوره فلا نعرف عمن يتحدث الحديث".[57]

ويمكن اعتبار القضية الفلسطينية من أكبر ضحايا المغالطات والتضليل الإعلامي في بريطانيا؛ فقد بين الباحث حلمي خضر ساري في أطروحة الدكتوراه، التي جاءت تحت عنوان "صورة العرب في الصحافة البريطانية " عام 1988، أنّ وسائل الإعلام البريطانية لعبت دوراً في تشكيل صورة سلبية عن المواطن العربي، باستثناء صحيفة "الإندبنديت"، التي يكتب فيها الصحافي روبرت فيسك لصالح القضايا العربية.[58]

وقد كشفت أيضاً نتائج دراسة بحث في تغطية وسائل الإعلام البريطاني للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، عام 2004، أن "43 % من الأمريكيين يعتقدون بأنّ الفلسطينيين هم الذين يحتلون "الأراضي المحتلة"، كما يعتقد 27 % من البريطانيين و16 % من الألمان نفس الشيء".[59]

---

[54]- http://ar.qantara.de/

[55]- Ibid

[56]- هذا مقال مترجم في موقع "قنطرة" الألماني، كتبه: بيورن تسيمبريش، ترجمة: ياسر أبو معيلق، تحرير: علي خلافي.

[57]- عبد اللطيف 2011، ص 78

[58]- راجع دراسة حلمي خضر سامي، "صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة"، سلسلة أطروحات الدكتوراه، 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988

[59]- الشرفي 2010، ص 141

من الإسهامات الأولى المتوفرة باللغة العربية دراسة سامي مسلم، وهي في الأساس أطروحة جامعية تناولت "صورة العرب في صحافة ألمانيا الإتحادية 1973 – 1975"، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، إلى حالة التعاطف الشديدة التي روجت لها وسائل الإعلام في جمهورية ألمانيا الاتحادية آنذاك مع إسرائيل، معتبرةً إيّاها "بلداً ديمقراطياً"، وقد ذهبت إلى أبعد من ذلك في مقارنتها للمجابهة بين العرب والإسرائيليين، كما هي المواجهة بين الألمان والروس.[60]

وبين مسلم، كيف أعطت الصحافة الألمانية التبريرات والأعذار خلال حربي 1967 و 1973 لإسرائيل بشن حروب ضد العرب؛ فقد بين الصحافي الألماني يورغن ترن في صحيفة "فرانكفورتر الجمانية تسايتونغ"[61]، أنّ "الإسرائيليين يَخرجون بعد كل أزمة أكثر قوة وأكثر تضامناً، وأن إسرائيل الصغيرة والجسورة تعتمد على نفسها"، كما يبين أن إسرائيل التي بلغ عدد سكانها آنذاك مليونيين ونصف، تدافع عن نفسها أمام (60) مليون عربي، وأن الجيوش العربية "هربت" إلى الصحراء، أمام القوات الإسرائيلية "الرائعة".[62]

وجاء في دراسة مسلم، أنّ صحيفة "دي فيلت" الألمانية وتعني بالعربية "العالم"، أشارت في تقريرها بتاريخ 8. 5. 1972، "بأن هناك حوادث أدت إلى موت عرب بأيدي إرهابيين"، كما دعت الصحيفة إلى مراقبة العرب القادمين إلى ألمانيا والقاطنيين فيها وطردهم".[63]

ويشير مسلم إلى أنه لا يوجد زعيم أو رئيس عربي، لاقى احتراماً ومديحاً من قبل وسائل الإعلام الألمانية مثل أنور السادات؛ فقد وصفته مجلة "دير شبيغل" بـ"السياسي الواقعي"، و"دبلوماسي ورجل دولة ماهر"، كما هاجمت في نفس الوقت القذافي، ووصفته بأنه يحلم "بإمبراطورية عربية كبيرة"، لذلك فهو يتهم منافسه السادات بـ" الخيانة والجبن".[64]

وبَحسب حلمي خضر ساري، فقد كانت صورة العربي سواءً في أوروبا أو في الولايات المتحدة الأمريكية، وبغض النظر، عند معظم الرحالة والتجار والعلماء وفي الكتب التعليمية سلبية جداً، حيث وُصف بأنّه استبدادي، الحالة الدنيا للمرأة المضطهدة، تعدد الزوجات، الخلط بين القرآن والحديث، وأنّ العربي بدويٌ يعيشُ في الصحراء، يستخدم الجمال كوسيلة وحيدة لمواصلاته، شغوفٌ بالسلب والنهب، كما وصفت معارضي

[60]- مسلم 1985، ص 30

[61]- Frangfurter Algemeine Zeitung .

[62]- مسلم 1985، ص 63

[63]- م .س، ص 73

[64]- م .س، ص ص 140–141

الاستعمار بأنهم مشاغبون شرسون، والتأكيد على أسطورة "جعل الصحراء تزدهر (المقصود هنا فلسطين)، وتفوق المستوطنيين الصهاينة".[65]

وبحسب الباحث تيسير أبو عرجة، فقد بين أنّ "الإعلام الغربي صور العرب بأنهم محفظة من المال، تتحرك بجسم جمل، وعقل متخلف في سوق الاستهلاك، وأنهم قاصرون عن الإحاطة بالعلوم والمعارف الإنسانية، منغلقين على تاريخهم، عاجزين عن إدارة شؤونهم، وثرواتهم".[66]

ولكن عند عقد مقارنة بين وسائل الإعلام الألمانية في سبعينيات القرن الماضي وعام 2012، فإننا نجد أن هناك تغيراً كبيراً طرأ على الخطاب الإعلامي في هذه الوسائل بعد اندلاع "الربيع العربي"، فقد وصفت قناة التلفزة الألمانية "دويشي فيللي" بعد هذا التاريخ، "الإنسان المصري بأنه استعاد ذاته من جديد، وأنه لن يقبل الاستبداد والظلم بعد اليوم".[67]

وأفرد سفير فلسطين السابق في ألمانيا عبد الله الافرنجي، في كتابه، وهو بعنوان "حياتي من أجل فلسطين"، مساحة واسعة لمؤسسة "شبرنغر" الإعلامية المعروفة بتحيزها لإسرائيل، وبعدائها المطلق للقضية الفلسطينية.

كما أشرف هارون الصويص، أحد الإعلاميين العرب في العاصمة الألمانية برلين، على إعداد مجلة بعنوان "العرب في ألمانيا"، تطرقت بالصورة والكلمة إلى أهم الشخصيات العربية التي عاشت في ألمانيا، منذ عام 1930 ولغاية 2010، في كافة مجالات الحياة.

وفي كتابه: "التحديات الأصولية، الإسلام والسياسية العالمية"، بين بسّام الطيبي أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد الأمريكية، والأستاذ السابق في جامعة توبنغن الألمانية، أنّ "تنظيم القاعدة" المتطرف لا يمثل الإسلام، نافياً كل الصور النمطية التي صورها الإعلام الألماني عن الإسلام.[68]

كما اقترح تأسيس ما أطلق عليه "الإسلام الأوروبي"[69]، بهدف خلق توازن بين ثقافة المهاجرين الإسلامية والمجتمعات الأوروبية العلمانية.

---

[65]- ساري 1988، ص ص 87–95

[66]- أبو عرجة 2010، ص 113

[67]- دويشي فيللي 25. 1. 2011

[68]- Tibi, Bassam 2003: Die fundamentalistische Herausforderung, Der Islam und die Weltpolitik, VerlagC.H.Beck, München.

[69]- Tibi, Bassam 2009: Euro-Islam, Die Lösung eines Zivilisationskonfliktes, Wissenschaftl.Buchgesell.

كما عالج صلاح عطية في كتابه "الإسلام والغرب :صراع يبقى أم تقارب ممكن؟"، حادثة مقتل المواطنة المصرية مروة الشربيني التي كانت حاملاً على يد متعصب ألماني من أصل روسي في قاعة المحكمة، وهي تنظر في الاستئناف الذي أقامه ضدّ الحكم الذي أنصفها في مواجهة عبارات نابية أطلقها ضدها، وهي تلعب مع طفلها في حديقة عامة، وقد قال لها آنذاك: "كل المسلمين إرهابيين وأنّ الإسلام يشجع على الإرهاب".[70]

كما عمل خالد حاجي بحثاً علمياً حول التحول السلبي تجاه الإسلام لدى الصحافة الألمانية، واختار مجلة "دير شبيغل" الأكثر شهرة وتأثيراً في الساحة الإعلامية، نموذجاً لهذا التحول، وكانت المجلة الألمانية قد أصدرت عدداً خاصاً (52) عام 2008 تحت عنوان عريض "القرآن أقوى كتاب في العالم"، ووضعت تحت المانشيت، إمرأة منقبة على الغلاف، مطاطأة الرأس تحت خلفية سوداء، وكأنه إيحاء بأن القرآن يتحمل مسؤولية عدم تحرير المرأة المسلمة.

ومن المعروف أنّ الصورة النمطية غير محصورة على العرب لوحدهم؛ فقد أجرت البروفيسورة الألمانية إينا أولريكه، أول دراسة عن الصور النمطية وكيفية انتشارها وتغيرها عبر الزمن.

وقالت: "إنّ آينشتاين قال: دفع الذرة إلى الانشطار أسهل من كسر صور نمطية"؛ فمن المعروف مثلاً أنّ هناك صورة نمطية عن الألمان بأنهم شعب مولعون بشرب البيرة"، وقد ورد ذلك في مقال كُتب عام 1709 في قاموس بمدينة "ليبزيغ" شرق العاصمة الألمانية "برلين".[71]

هناك العشرات من الكتب الألمانية التي صدرت وتناولت الإسلام وقضايا العرب والمسلمين.

فقد نظر أستاذ العلوم السياسة السابق، ومدير معهد العلوم السياسية في جامعة "كييل" الألمانية فيلفريد روش، إلى الرسول محمد نظرة إيجابية كما جاء في كتابه: "النزاعات الدينية في السياسة العالمية"، وقال: " لقد كان محمد رجل دولة ورجل دين في آن واحد".[72]

بينما أشار مارسيل بوت الذي كان مراسلاً صحافياً لقناة التلفزة الألمانية الأولى في كل من بيروت وعمان من خلال كتابه "الكفاح من أجل تطور العرب، الطريق الصعب نحو الديمقراطية الإسلامية"، إلا أنّ حركات الإسلام السياسي وعلى رأسهم جماعة الإخوان المسلمين، لا تعترف بأي دستور سوى القرآن؛ فهي تردد كل يوم الشعار التالي: "القرآن دستورنا، والإسلام هو الحل".[73]

[70]- راجع كتاب صلاح عطية، الإسلام والغرب: صراع يبقى أم تقارب ممكن؟ دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، 2009

[71]- www.dw-berlin.de 11.6.2013

[72]- Röhrich2004 , p. 106

[73]- Pott2012. p. 63

وكان عمدة حي "نويكلن" الواقع وسط العاصمة الألمانية "برلين" هاينز بوشكوفسكي، قد أصدر كتاباً بعنوان: "نويكلن في كل مكان"[74]، حيث عرض في كتابه أنّ الحي المذكور هو عبارة عن "وباء مخيف يهدد أمن واستقرار ألمانيا"، وأعطى صورة سلبية جداً عن سكان الحي التي تبلغ نسبة الجاليتين التركية والعربية فيه حوالي 40 %.[75]

وقد سبق هذا الكتاب، كتاب آخر، لوزير المالية البرليني السابق، تيلو ساراتسين "ألمانيا تهدم نفسها"[76]، قال فيه: "إنّ المهاجرين الأتراك والعرب لا يتقنون إلا التجارة بالخضار والفواكهة"، وقد سبق هذين الكتابين تصريحات لاذعة جداً لرئيس وزراء ولاية فرانكفورت الأسبق رونالد كوخ [77]، عندما وصف أبناء المهاجرين بـ "المجرمين" و"المخربين".[78]

3– إشكالية العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب:

جميع الكتب والدراسات السابقة التي رجع إليها الباحث، تشير إلى أنّ صور العربي والمسلم في الإعلام الغربي أو لدى الرأي العام الغربي، تضمنت تصورات نمطية، ويرى الباحث أنّ السبب الأول وراء ذلك، هو حالة التنافس التاريخي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية؛ فكل ديانة لها أطماعها في الانتشار ومجابهة خطر الآخر، حيث كان كل طرف ينظر لنفسه على أنه مركز للحضارة والإنسانية، بينما يمثل الطرف الآخر البربرية والكفر.

"وبالنسبة للمسلمين، فإن مبدأ الجهاد قد لعب دوره في إبقاء الصراع حياً؛ فالمسلم يقسم العالم إلى منطقتين: دار الإسلام، ودار الحرب أو المنطقة التي لم تخضع له. لهذا، فإن السلم من الوجهة النظرية لم يكن أمراً ثابتاً، ونتيجة لهذا الصراع، فإن سوء الفهم قد سيطر على الدوام على كل من المسلم والمسيحي في العصور الوسطى تجاه بعضهما بعضاً، فبينما كان المسلم يرى أنّ المسيحيين قد خرجوا عن تعاليم المسيح الأصلية، فإن المسيحيين ما كان لهم أنّ يعترفوا بديانة الإسلام الجديدة".[79]

لقد تطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل، عبد الإله بلقزيز أستاذ الفلسفة في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء المغربية، في ورقة عمل تحت عنوان "الاستشراق وحدوده المعرفية والمنهجية" حيث قال: "يعترف محمد أركون أن قوة المتخيل الغربي عن الإسلام، أعلى من قوة المعرفة العلمية به، والمتخيل هذا – وهو نتاج

---

[74]- Heinz Buschkowsky: Neukölln ist überall

[75]- حمد، أمير: "عمدة نويكلن يبرر فشله بالهجوم على الأجانب"، مجلة "الدليل"، برلين، شباط 2013، ص 9

[76]- Thilo Sarrazin :Deutschland schafft sich ab

[77]- Roland Koch

[78]- حمد، أمير: "عمدة نويكلن يبرر فشله بالهجوم على الأجانب"، مجلة "الدليل"، برلين، شباط 2013، ص 9

[79]- زيادة 2010، ص 24

تراكم تاريخي طويل غذته الحقبة المعاصرة بالمزيد- نقرأ معطياته في وعي جمهور غربي مشحون بالأحكام السلبية المسبقة والعتيقة عن الإسلام والمسلمين، وهو يمتلك صورة ارتيابية تشتبه بهم أو لا تثق بهم على الإطلاق، إنها صورة احتقارية، وغالباً عدوانية تجاههم".[80]

كما يؤكد كاتب أول رواية في العالم العربي محمد حسين هيكل في روايته "زينب" هذه القضية، فهو يقول: "مقولة ليس هناك تفاهم بين أوروبا والإسلام، فهذا أمر لا شك فيه،غير أن كثيراً من الأوروبيين يرجعون هذا إلى الدين".[81]

ففي العهد الأموي، سجل يحيى الدمشقي الذي عاش في سوريا موقفه في كتابيه "ينبوع المعرفة" و"مساجلة بين عربي ومسيحي"، حيث هاجم فيهما الإسلام، باعتباره "هرطقة مسيحية" وقال: إنّ "محمد نبي كاذب".[82]

الصورة تطورت أكثر في زمن الحروب الصليبية، فلم يكن الصليبيون هم مصدر المعلومات الوحيد عن العرب في أوروبا، فقد أضافت أيضاً أعمال أهل العلم وكتابات التجار والرحالة ورجال الدين ومنقبي الآثار صوراً جديدة عنهم، ومنهم العالم إديلاند الذي تجول في إسبانيا وسوريا في الربع الأول من القرن الثاني عشر، وترجم بعض الأعمال العربية إلى اللاتينية، خاصة المؤلف الكبير في الكيمياء لجابر بن حيان عام 1144، وجداول الخوارزمي الفلكية.[83]

فقد جرى تصوير العرب في كتابات الرحالة والتجار، على أنهم شعب "خطر" و"فظ" و"عدائي"، ولا يظهر المودة للمسافرين، كما أنهم ألفوا بأنفسهم خرافات وصوراً هي في الواقع من نسج خيالهم وتصوراتهم، وهذه الصورة سيطرت بالذات على الرأي العام الإنجليزي[84]، وهذا ما حصل مع الرحالة الإنكليزي سانت جون ماندفيل الذي وصف شعوب الشرق في كتابه "الرحلات"، بأنهم شعوب "خبيثة" و"شريرة".

وهذا الأمر لم ينعكس فقط على العرب لوحدهم، فقد طال الاستعلاء العرقي أيضاً سكان أمريكا الأصليين؛ فلقد نظر الإنجليز إليهم بأنهم "متوحشين" و "بهيميين" و "لم ينضجوا بعد، ويفتقرون إلى الحضارة، وانتقل هذا الوهم مع المستوطنيين الذي ذهبوا لإستعمار أمريكا".[85]

---

[80]- السيد، رضوان وآخرون 2011، ص 55
[81]- عبد الملك، الكحلة 2011، ص 23
[82]- ساري 1988، ص 25
[83]- ساري 1988، ص 27
[84]- م .س، ص 28
[85]- م. س، ص 30

وفي نظر جون ويكليف[86]، أنّ أخطاء الكنسية المسيحية هي التي أدّت بطرقٍ غامضة إلى صعود الإسلام، فقد كتب عشية عيد بشارة العذراء عام 1378، يقول: "إني لأجرؤ على القول أنّ هذا الدين المعادي (الإسلام) سيستمر في النمو والتقدم، إلى أن يعود الكهنة لفقر المسيح وتواضعه، وموقف الكنيسة الأولى، فجبل الله لن يعلو ويثُبت إلاّ بالاضطهاد والصبر عليه".[87]

والحال ينسحب على العلماء الإنجليز أيضاً الذين أسسوا في القرن السابع عشر أقساما للدراسات العربية في جامعتي "إكسفورد" و"كامبريج"؛ فقد بين وليام بدويل 1561 – 1732، أنّ الرسول - عليه السلام - كان "دجالاً" و "مغوياً للإعراب، وواضعاً للقرآن".[88]

كما كتب جورج ساندي عام 1652 يقول: "إنّ العرب يسكنون الخيام، وينقلونها فكأنها مدن تسير، بحثاً عن الصيد والمراعي"، فيما أدخل الرحالة جوزيف بتز صوراً أخرى عن العرب تتعلق بالقرصنة والرق، وادّعى المستشرق همفري بريدو (1648- 1724)، أنّ "الله قد خلق الإسلام كعقوبة للمسيحيين الشرقيين، بسبب ما طرأ على كنيستهم من انشقاقات في عصر ظهور الرسالة الإسلامية"، كما تطرق إلى الدوافع الكامنة وراء تأسيس هذا الدين المبتكر، على حد وصفه: "لكي يحكم محمد بلاده ويشبع طموحه، لقد كان من اليسير لمحمد أن يسحب العرب إلى جانبه، ذلك أنّ شريعته سمحت بإشباع جميع تلك الشهوات والرغبات التي وجدهم مدمنين عليها، إنها رغبات الشهوة والحرب".[89]

وكذلك كان الحال عند بعض رجال الدين، فقد اهتم الكاردينال جون هنري نيومان (1801 – 1890) بالشرق العربي والإسلامي، وبين أنّ "عرب الجاهلية كانوا بربريين من البدو الرحل، الذين استجابوا للتحضر الذي دشنه عصر محمد؛ فالغرب يمثل موضع المسيح، والشرق موضع الشيطان، ولهذا برز الإسلام بين بربريين، ولهذا ليس من المفاجئ أنْ يدعم سلطة البربرية"[90]، ويحاول نيومان أنْ يُظهر أنّ سبب انتشار الإسلام، هو بسبب الطبيعة العسكرية للفتوحات المبكرة في الأقاليم المجاورة.

وفي شهر نيسان /أبريل عام 1930، جرت في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، مناظرة فكرية بين عباس محمود العقاد (1889 – 1964) وسلامة موسى (1889 – 1952)، وهما اثنين من المفكرين الأكثر نفوذاً في مصر، لمناقشة بيت الشعر للشاعر الإنجليزي كيبلينج

الشرق شرق والغرب غرب

---

[86]- John Wycliff

[87]- سوذرن 2006، ترجمة: رضوان السيد، ص 126

[88]- م. س.

[89]- الدعمي 2006، ص 42–44

[90]- الدعمي 2006، ص 76–77

ولن يلتقي الاثنان

أكد العقاد أنه يتفق مع الشاعر الإنجليزي، فرد عليه سلامة موسى بأنه "يمكن إيجاد أرضية مشتركة للتفاهم بين الشرق والغرب، لأن كليهما ينتمي إلى أسرة بشرية واحدة ومصير بشري واحد".[91]

نعود إلى المربع الأول، كيف لعب التنافس الديني بين الإسلام والمسيحية دوراً في تكوين صورة نمطية سلبية عن العرب والمسلمين لدى الرأي العام الغربي، لقد تطرق إدوار سعيد في كتابه "تغطية الإسلام، كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم"، إلى كيفية تشكيل الرأي العام الغربي عن طريق وسائل الإعلام، وفي هذا السياق يقول سعيد في كتابه: "إنّ وسائل الإعلام الغربية تصور أنّ المسلمين يهاجمون الغربيين والإسرائيليين باسم الإسلام، كدين، وكأنه يعود إلى كون الإسلام على هذا النحو، ويتناسى هذا الإعلام الظروف السياسية والمحلية والملموسة".[92]

كما تطرق سعيد الذي شغل منصب أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا الأمريكية، إلى الصحافي البريطاني روبرت فيسك من صحيفة "الإنديبندنت" اللندنية، وأشار إلى التشوهات الحاصلة في التغطية والتقرير الصحافيين، وبقي فيسك مُركّزاً على ما حدث بالفعل، لا على ما أراد المسؤولون الإسرائيليون والأمريكيون من العالم أنْ يعتقد أنّه حدث".[93]

ويُشير سعيد إلى أنّه ساد اعتقادٌ منذ القسم الأول من عصر النهضة في أوروبا، بأنّ "الإسلام دين شيطاني رجيم، سماته النفاق والتجديف والغموض"[94]، وهذا الأمر انعكس على صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية التي صورتهم بأنهم منافقين، وإرهابيين، وغير قابلين للتطور.

وبين سعيد أنّ "وسائل الإعلام الأمريكية تختلف عن وسائل الإعلام الفرنسية والبريطانية، لأن هذه المجتمعات تختلف اختلافاً كبيراً، والجمهور يختلف، والمنظمات والمصالح تختلف"[95]، لكن الأمر الذي يجمع وسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية، هو الصورة النمطية ذات الطابع السيء التي رسمتها عن العربي، بتأثير من اللوبيات الصهيونية في الدول الغربية.

كما تطرق سعيد في كتابيه "الاستشراق" و"تعقيبات على الاستشراق" إلى أسس التفكير الغربي تجاه العرب والمسلمين، وبين أنّ الغرب تشكل وعيه تجاه الشرق على أساس الاستشراق، وقال: إنّ "الدارسيين

---

[91]- م. س، ص 5
[92]- تغطية الإسلام 2011، ص 37
[93]- م .س، ص 65
[94]- م .س، ص 89
[95]- م .س، ص 141

الأوربيين قاموا بوصف الشرقيين بأنهم غير عقلانيين وضعفاء ومخنثين، على عكس الشخصية الأوروبية العقلانية والقوية والرجولية".[96]

وكشف سعيد عن موطن الضعف الأساسي في خطاب الاستشراق، وهو التحيز الأيدلوجي الغربي ضد المسلمين، كانعكاس للإمبريالية الثقافية الأوروبية.[97]

في المقابل، اعتقد عدد من المفكرين العرب والغربيين أنّ إدوارد سعيد بالغ في نقده لخطاب الاستشراق، بل بينوا أنّ "هناك عدداً لا بأس به من كبار المستشرقين، عرفوا كيف يميزون بين اهتماماتهم العلمية، وبين الأهداف والغايات السياسية لبلدانهم (بين قوة المتخيل وحدود المعرفة)، مثل المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون الذي كتب عن "الحلاج"، والمستشرق الألماني ثيودور نولدكه الذي كتب عن "تاريخ القرآن"، وإينياس غولدزيهر ويوليوس فلهاوزن وسلفستر دوساسي وسيلفان ليفي وبيشيل وآماري ولوكوك وغيرهم".[98]

ويقف على رأس هؤلاء المفكرين العرب المعارضين لرأي إدوارد سعيد، هاشم صالح، فقد تمنى الأخير لو بقي سعيد في حقل الأدب المقارن، ولم ينتقل إلى الدراسات العربية والإسلامية، لأنّ صالح اعتقد أن الاستشراق استطاع كشف التاريخي عن المقدس.

يقول صالح: "في الواقع إنّ نقد الاستشراق يثير أسئلة حقيقية، منها، ما أشار إليه بعض نقاد الاستشراق بأن أساس هذه الدراسات هو أنّ "المعرفة هي السلطة"، وبالتالي فإن المستشرقين يبحثون عن معرفة الشعوب الشرقية من أجل الهيمنة عليها، وذلك لأن المستشرقين يبحثون عن معرفة الشعوب الشرقية من أجل الهيمنة عليها، إنها لحقيقة واقعة أن بعض المستشرقين قد خدموا الهيمنة الإمبريالية، ولكن هذا التفسير للمشروع الاستشراقي في مجمله يبدو ناقصاً حتى درجة العبثية، فلو كان البحث عن السلطة بواسطة المعرفة هو الباعث الوحيد، فلماذا ازدهرت هذه الدراسات الاستشراقية في بعض البلدان الأوروبية، مثل ألمانيا، والتي لم تسهم إطلاقاً في الهيمنة على العالم العربي".[99]

ويرى الناقد روبرت ايروين بأن سعيد تجاهل دراسات المستشرقين من ألمانيا في القرن التاسع عشر، بينما يرد آخرون أنّ سبب ذلك هو تركيز المستشرقين الألمان على الجانب المعرفي وليس الاستعماري.[100]

---

[96]- سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء (الخطاب)، ص 65–67

[97]- أحميدة؛ علي عبد اللطيف 2009، ص 50

[98]- أركون وآخرون 1994، ص 24

[99]- م. س، ص 178

[100]- تعقيبات في الاستشراق، الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994

من أكثر المستشرقين الغربيين الذين رسخوا الصورة السلبية عن العرب، المستشرق النمساوي غوستاف فون غرونبوم[101] 1909 -1972، فقد هاجر هذا المستشرق إلى جامعة شيكاغو الأمريكية عام 1943، وهناك كتب كتابين، وهما: "الإسلام القروسطي: دراسة في الاستشراق الثقافي" و"الإسلام الحديث: البحث عن هوية ثقافية"، حيث بّين أنّ العرب "بدون ثقافة"، وقاموا "بغزو سوريا ولبنان المتحضرتين"، بينما ثقافتهم القروسطية لم تقدم أي إسهام نظري في المعرفة الإغريقية إلاّ في البصريات، وكشف عن "نفوره الخبيث من الإسلام"، وقال: إنّه "دين غير خلّاق" و"غير قادر على التطور، استبدادي ومناهض للإنسانية، لذلك فإنّ في ظهوره، يكمن أصل انحطاطه".[102]

ومن أشهر المستشرقين أيضاً الذين كتبوا عن الإسلام، المستشرق الأمريكي برنارد لويس، الأستاذ في جامعة برنستون الأمريكية؛ ففي كتابه "العرب في التاريخ" خلص إلى نتيجة مفادها "عدم وجود حضارة عربية"، وفي كتابه الآخر"الشيوعية والإسلام"، بين أنّ "الإسلام استبدادي، اعتدائي وغير ديمقراطي"، كما يرى في الشيوعية بأنها استبدادية والنقيض للديمقراطية البرلمانية[103]، وكان لويس الذي نشر مقالته الشهيرة عام 1976، وهي بعنوان "عودة الإسلام"، قد حذر من "الخطر الإسلامي"، كما أنّ الفريد شيرمان، وهو أحد مستشاري مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، كتب عام 1993 يقول: إنّ "هناك خطراً إسلامياً يتهدد أوروبا المسيحية، وهو آخذ في التعاظم ببطء، وما زال بإمكاننا احتواؤه".[104]

ويرى صموئيل هنتنغتون في كتابه "صراع الثقافات"، أنّ "للإسلام حدوداً دامية جعلت المسلمين يعانون من مشاكل العيش بسلام مع جيرانهم، مما جعل المسلمين متورطين في عنف جماعي مع شعوب الحضارات الأخرى، والسبب في اعتقاده يعود إلى ثلاثة أمور؛ أولها أنّ الإسلام منذ البداية كان دين السيف، وثانيها أنّ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وانتشاره في شمال إفريقيا، جعل المسلمين في اتصال مباشر مع شعوب متعددة، تم عزوها وتحويلها إلى الإسلام، والسبب الثالث يعود إلى طبيعة المجتمعات المسلمة التي تعاني من مشاكل مع الأقليات غير المسلمة".[105]

بلا شك، لعبت حالة التنافس التاريخي بين الديانتين "الإسلامية والمسيحية"، دوراً في تشويه صورة العربي لدى الرأي العام الغربي، بالإضافة إلى دور اللوبيات الصهيونية، وقد ساعدها على ذلك وجودها التاريخي في عمق المجتمعات الغربية؛ فاليهود في ألمانيا هم جزء لا يتجزأ من المجتمع الألماني، بل إنّ معظم المشروعات الاقتصادية والثقافية الكبرى هي لرجال أعمال يهود.

---

[101]- Gustave von Grunebaum

[102]- ساري 1988، ص 66

[103]- ساري 1988، ص ص 67–74

[104]- رجائي 2010، ص 365

[105]- ابن سعيد 2010، ص 70

وفي هذا السياق، يقول حلمي خضر ساري إنّ "الصهيونية السياسية وعلى رأسها البرجوازية اليهودية الأوروبية، التي كانت متأثرة بعمق القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر، وعلى الأخص في ألمانيا وإيطاليا، قد عرضت نفسها بصفتها الحل البديل الوحيد لعزلة يهود أوروبا الشرقية، وما يعانونه من الغيتو، فقد قام ثيودور هرتزل[106] بزيارة فلسطين عام 1898، وفي المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في بازل في سويسرا عام 1897،حدد هيرتزل هدف الحركة الصهيونية المتمثل في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، والحصول على دعم الدول الكبرى لتطبيق هذا الهدف، وقد ورد ذلك أيضاً في كتابه "الدولة اليهودية" عام 1896".[107]

وفي كلمته أمام المؤتمر الصهيوني الأول قال: "إنّ من مصلحة الأمم المتحضرة جداً ومن مصلحة الحضارة عموماً، أنْ تقام محطة ثقافية في أقصر طريق إلى آسيا، وفلسطين هي هذه المحطة ونحن اليهود حملة الثقافة، نحن الذين على استعداد لبذل أموالنا وأرواحنا لتحقيق تأسيسها".[108]

وقد اتصل هيرتزل بقيصر ألمانيا لتحقيق هدفه، "الرجل الذي سوف يفهم مشروعي" على حد تعبيره، ولا يعود هذا التفاهم فقط إلى أثر الصهيونية في الثقافة الألمانية، بل كذلك إلى ميل ألمانيا للضغط بحثاً عن طريق لها نحو المشرق، وقد دعا زعماء الحركة الصهيونية ألمانيا إلى فكرة استعمار فلسطين، وكتب المحامي بودنهايمر الذي رافق هيرتزل في زيارته إلى فلسطين لوزارة الخارجية الألمانية عام 1920، يقول: "ألمحت فيها إلى المنفعة الاقتصادية التي ستعود على الإمبراطورية الألمانية من خلال الاستيطان الصهيوني"، كما ظهر في تقرير لنائب القنصل الألماني في مدينة يافا بفلسطين بتاريخ 29. 2. 1912، يقول: "بما أنّ الألمانية لغة يعرفها اليهود ولو أنّ أكثرهم يتكلمونها بشكل محرف، فهناك بينهم وبين ألمانيا روابط قادرة على تعزيز المستقبل"، الدوافع الاستعمارية الألمانية في المشرق عبرت عن نفسها في زيارة القيصر فيليهم الثاني إلى القسطنطينية وفلسطين وسوريا عام 1898.[109]

ولكن، لم تكن الصورة قاتمة بشكل كلي فيما يتصل بالعلاقة بين الشرق والغرب، فقد كان لبعض المستشرقين الأوروبيين الفضل في كشف "الغبار" عن ما علق في التاريخ العربي والإسلامي؛ فقد كان

---

[106]- هرتزل 1806-1904، صحافي نمساوي، من أصل يهودي.

[107]- م. س، ص 140

حاول هرتزل من خلال كتابه، التركيز على أن السبيل لحل المسألة اليهودية، تحويلها إلى قضية سياسية، والفكرة التي تتجمع حولها هذه الجهود لتحويل هذا الحلم إلى واقع هو فكرة "الدولة اليهودية"، وقد عرض هرنزل عدة أماكن لتحقيق ذلك منها: العريش في سيناء والأرجنتين وقبرص وكينيا وموزامبيق وأوغندا والكونغو، وفي عام 1903 عُقد المؤتمر الصهيوني السادس، حيث وافقت الأكثرية على ذلك 295 صوتاً مقابل 178 صوتاً، لكن هرتزل توفي عام 1904. انظر كتاب "فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المكتبة الجامعية، 1983، ص ص 37-43

[108]- م. س، 141

[109]- ساري 1988، ص 131–146

المستشرق الألماني ثيودور نولدكه (1836- 1930) أول مستشرق غربي يبحث في القران الكريم تاريخياً؛ أي من منظور تاريخي.

وفي الجانب العربي والإسلامي، نعثر في نصوص رفاعة الطهطاوي 1801 – 1874 وخير الدين التونسي 1822 -1889 وجمال الدين الأفغاني 1838 – 1897، محمد عبده 1849- 1905 وفرح أنطون 1874- 1922، على كيفيات متعددة في عملية انتقال المنتوج الثقافي الغربي إلى فضاء الكتابة الإصلاحية العربية، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.[110]

هذه العلاقة التاريخة والمعقدة، أخذت جزءاً كبيراً من كتابات مفكرين عرب كبار، مثل هشام جعيط صاحب كتاب "أوروبا والإسلام " الصادر عام 1978، وعبد الله العروي"الإيدولوجيا العربية المعاصرة" عام 1967، الذي رأى استحالة التفكير في واقع العالم العربي دون التفكير في الآخر، المحدد في النموذج الحضاري الغربي.

وبحسب محمد عابد الجابري، فإنّه "يمكن للباحث السيكولوجي أنْ يلتمس لخطاب الخوف من الإسلام من وسائل الإعلام الغربية، دوافع دفينة في الرغبات التي لا يريد الخطاب الغربي التعبير عنها صراحة، والتي تنبع من حاجات أشبة بالحاجات البيولوجية بالنسبة إلى اللاشعور الفردي، مثل الحاجة إلى البترول، والرغبة في إستمرار الهيمنة عليه، والحاجة إلى المهاجرين المتناقضة مع الرغبة في التخلص منهم تحت ضغط هواجس اقتصادية أو عنصرية، والحاجة إلى بقاء العالم الإسلامي قائماً ك (آخر) لا بد منه، والرغبة في أن يظل مشتتاً ومتخلفاً تابعاً".[111]

4– صورة العربي في الإعلام الألماني قبل 11. سبتمبر .2001

أسهمت الجاليات العربية والمسلمة في أوروبا، بالكثير من الأعمال الإيجابية لصالح المجتمعات التي عاشت فيها[112]، ومع ذلك دأب الإعلام الغربي على "صناعة" صورة نمطية مشوهة عن العرب والمسلمين،

[110]- عبد اللطيف، 2003، ص 155

[111]- بن سعيد 2010، ص 11

[112]- انظر في هذا السياق مجلة "العرب في ألمانيا" التي أشرف عليها هارون الصويص أحد الإعلاميين العرب في ألمانيا، وصدر منها ثلاثة أعداد بالتعاون مع وزارة الداخلية البرلينية.

موغلة في الازدراء والاستخفاف والاحتقار[113]، حتى أنّ رئيس تحرير مجلة "دير شبيغل" الألمانية [114] أوغشتاين، قال: "العرب غير عقلانيين".[115]

ولعبت مجلة "دير شبيغل" بحسب بحث علمي أعده خالد حاجي، حول "التحول السلبي تجاه الإسلام في الصحافة الألمانية"، واختار مجلة "دير شبيغل" الأكثر شهرة وتأثيراً في الساحة الإعلامية نموذجاً لهذا التحول.

وعادة ما تفردت دير شبيغل[116] (وتعني باللغة العربية المرآة)، مساحة واسعة للعالمين العربي والإسلامي، بسبب الصراع العربي – الإسرائيلي، وعقدة الذنب تجاه اليهود الذين تعرضوا للمحرقة إبان الحرب العالمية الثانية.

هذا التزوير أو التحريف في الحقائق حول القضية الفلسطينية لم يتوقف عند هذا الحد، بل نشر الإعلام الألماني - ولا يزال- اللقاء الشهير الذي جمع الحاج محمد أمين الحسيني[117] مفتي فلسطين، مع القائد النازي أدولف هتلر، وكأن الفلسطينيين كانوا مع القضاء على اليهود في أوروبا، إبان الحرب العالمية الثانية عام 1945.

فمنذ أنْ تولى المستشار الألماني كونراد أديناور، وهو من الحزب المسيحي الديمقراطي السلطة في عاصمة ألمانيا الغربية سابقاً، اعتقد أنّ "التعويضات التي ستدفعها ألمانيا الاتحادية للمنظمات اليهودية، سوف تسهل الاعتراف بالدولة الألمانية الفتية، وريثة الرايخ الثالث، وسوف تكسبها ثقة العالم الغربي، ومن أجل تحسين صورة ألمانيا في الولايات المتحدة فقدُطلب من إسرائيل في 11. 11. 1949 أن تقبل عشرة ملايين مارك من الحكومة الألمانية هبة لإسكان المهاجرين اليهود الوافدين إليها، لكن البرلمان الإسرائيلي رفض ذلك، وطلب مليارا ونصف المليار دولار".[118]

وقد طلبت فيما بعد إسرائيل من الحكومة الألمانية إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين عام 1956، فطلبت ألمانيا منها تأجيل ذلك، خوفاً من ردود الأفعال العربية؛ فقد هدد الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر

---

[113]- بن سعيد 2010، ص 115

[114]- مجلة أسبوعية تصدر كل صباح اثنين في مدينة هامبورغ، وتوزع أكثر من مليون نسخة أسبوعياً، صدر العدد الأول منها في 4 يناير / كانون الثاني عام 1947، مُؤسسها الصحافي رودلف أوغشتاين.

[115]- مسلم 1976، ص 123

[116]- Der Spiegel

[117]- الحسيني 1895- 1974، ولد في مدينة القدس، كان مفتياً لفلسطين بين أعوام 1921 - 1948، ورئيس المجلس الأعلى الإسلامي 1922 -1937، وقد إلتقى هتلر عام 1941

[118]- محافظة 2002، ص ص 51–53

بالاعتراف بألمانيا الديمقراطية (الشيوعية)، إذا ما أقدمت ألمانيا الاتحادية على تبادل التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل.[119]

وعلى الجهة المقابلة، حاولت ألمانيا الديمقراطية التي أرادت تنوير الألمان في منطقة الاحتلال السوفياتية، بالماركسية – اللينينية، وبناء نظام ديمقراطي شعبي مناهض للنازية بين أعوام 1945- 1949، وأن تغتنم الفراغ الذي نشأ نتيجة خروج بريطانيا وفرنسا من المشرق العربي، وكانت أول اتفاقية أبرمتها مع بلد عربي لتبادل السلع هي مصر عام 1953.[120]

بعد هذا التاريخ، اعتمدت إسرائيل في تسليح قواتها من ألمانيا الغربية، وكانت تتم في مفاوضات سرية جداً، وبحسب تصريحات شمعون بيرس لمجلة "دير شبيغل" في شهر أيلول عام 1965، فقد حصلت إسرائيل، لأول مرة، على طائرات تدريب نفاثة من نوع "فوجا ماجستير"، وطائرات ناقلات جنود، ومدافع مقاومة للطائرات من سلاح الجيش الألماني.[121]

وقد ذكرت صحيفة "فرانكفورتر الجمانية" الألمانية، أنّ إسرائيل تلقت من ألمانيا الغربية 200 دبابة أمريكية، و50 طائرة، كما نشرت صحيفة "التايمز" البريطانية بتاريخ 26. 10. 1964، أنّ علماء الذرة الألمان يعملون في إسرائيل.

وبتاريخ 12. 5. 1965، تم تبادل العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وألمانيا الغربية، وعلى الفور اجتمع الملوك والرؤساء العرب في القاهرة بتاريخ 9. 3. 1965، وقرروا قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية، وسحب رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية من عاصمة ألمانيا الغربية سابقاً "بون" فوراً.[122]

كما وقف الإعلام الألماني تاريخياً إلى جانب إسرائيل؛ ففي حرب "الأيام الستة" عام 1967، منحت الصحافة الألمانية التبريرات والأعذار للعدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية، كما اتهمت العرب "بشن هجمات إرهابية ضد إسرائيل"، وبينت أيضاً أنّ "داود المسكين الضعيف"، أي إسرائيل، التي يبلغ عدد سكانها آنذاك مليونين ونصف مليون، تدافع عن نفسها ضد 60 مليون عربي؛ أي ضد جوليّات، ومع ذلك فقد هربت

[119]- م .س، ص 79
[120]- محافظة 2002، ص 101
[121]- م. س، ص 112
[122]- م .س، ص 132

الجيوش العربية إلى الصحراء أمام القوات الإسرائيلية الرائعة، وأن موشية ديان يمثل جميع الفضائل الإسرائيلية".[123]

ومن العناوين الصحافية ضد العرب التي نشرتها الصحافة الألمانية عشية حرب 1967:

"اقتلوا اقتلوا"[124]

"هم كلابنا"[125]

"إنهم يسكنون في الكهوف وعلى السطوح، إنّ هذا يزيد حقدنا بالتأكيد، هل توقظ انتصارات إسرائيل حسد العرب، البربرية، تبرعوا لأطفال إسرائيل، الإنسانية عوضاً عن الوحشية، سلام على إسرائيل، بواسل لكن لوحدهم".[126]

وما ينطبق على حرب عام 1967، ينطبق أيضاً على حرب عام 1973؛ فقد بينت مجلة "دير شبيغل"، بأنّ العرب توصلوا إلى قناعة أن الاتحاد السوفيتي لن يسترجع أراضيهم، لذلك بدأ العرب هذه الحرب للخروج من حالة اللا سلم واللا حرب".[127]

وأثناء الحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة بتاريخ 16. 11. 2012، وقف الإعلام الألماني إلى جانب إسرائيل؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، تركزت عناوين نشرة الأخبار في قناة التلفزة الإخبارية الألمانية "أخبار 24"[128]، وهي النسخة الألمانية لقناة "سي إن إن"[129] الأمريكية على النحو الآتي:

"850 صاروخاً أطلق اليوم على إسرائيل".

"إرهابيون يُطلقون صواريخ على إسرائيل ويتسببون في رعب ضد المدنيين".

"أوباما يؤكد على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها".

وعلى الرغم مما سبق، لم يشارك جميع الإعلاميين الألمان في تلك الحملة الإعلامية ضد القضايا العربية، بل وقف جزءٌ منهم مع القضايا العربية وخاصة القضية الفلسطينية، مثل جيرهارد كونتسلمان وأولريش كينتسله

---

[123]- مسلم 1985، ص ص 62- 63
[124]- دير شبيغل 12. 6. 1967
[125]- م. س 14. 9. 1967
[126]- مسلم 1985، ص ص 65- 67
[127]- م .س، ص 85

[128]- N24
[129]- CNN

من القناة التلفزيونية الألمانية الأولى[130]، وكذلك الصحافي أولريش متلتسكي من القناة الثانية [131]، وكذلك الصحافي والباحث في الشؤون والقضايا العربية بيتر شول لاتور.[132]

وقد أفردت المجلة الألمانية عدداً خاصاً عن مدينة القدس (العدد 3 /عام 2009)، تحت عنوان: "مدينة مهد الأديان"، حيث مارست "تزوير تاريخي"؛ فقد بينت أن سكان المدينة هم من اليهود، وتاريخها يهودي، ولا يوجد بها شعب عربي فلسطيني، فهي تدّعي في مقال لها بعنوان: "الحياة في بيت الله" في الصفحة رقم 26: "أنّه قبل ألف سنة قبل الميلاد، كانت مدينة القدس مقر لملوك بني إسرائيل، وتُعتبر من أهم الأماكن لليهودية.[133]

كما أفردت المجلة عدداً خاصاً أعقب عملية "ميونخ" الشهيرة، التي نفذتها مجموعة "أيلول الأسود ضد الرياضيين الإسرائيليين عام 1972 في مدينة ميونخ الألمانية، وقد كُتب على الغلاف: "ميونخ 1972: إرهاب ضد الأولمبياد".

وبحسب الباحث علي محافظة، فقد "استمرت وسائل الإعلام الألمانية الغربية في تأييدها لإسرائيل حتى عام 1973، واتفقت في ذلك مع السياسة الرسمية الحكومية، وظلت متحيزة ضد العرب، منطلقة من مركزية أوروبية ذاتية، وبقيت صورة العرب في هذه الوسائل سلبية، باعتبارها نتاج أحكام مسبقة تقليدية عن العرب والشرق بعامة، وصورت وسائل إعلام ألمانية الغربية الصراع العربي – الإسرائيلي على أنه صراع بين داود وجوليات العملاق".[134]

عدد من مجلة "دير شبيغل" صدر عام 1988 بمناسبة اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987، وقد كُتب على الغلاف الخارجي للمجلة بالخط العريض "إرهاب في الأراضي المقدسة "، بالإضافة إلى صورة تمثل مجموعة من الفلسطينيين، وهم يرفعون العلم الفلسطيني وسط مجموعة من البنادق على شكل نجمة داود تحيط بهم.

---

[130]- ARD

[131]- ZDF

[132]- مجلة "شؤون فلسطينية" مركز الأبحاث الصادر عن منظمة التحرير الفلسطينية، مراجعة كتاب السيرة الذاتية لسفير فلسطين السابق في ألمانيا عبد الله الإفرنجي، وهو بعنوان: "حياتي من أجل فلسطين" مراجعة: محمود اللبدي، العدد 248، ربيع 2012، ص ص 274- 275

[133]- Leben im Haus Gottes: 1000 Jahre vor Christi Geburt wird Jerusalem zum Sitz der israelitischen Könige und schließlich zum wichtigsten Ort des Judentums.

[134]- محافظة 2002، ص 70

وننتقل من الصعيد السياسي إلى الصعيد الديني؛ فقد بينت دراسة قام بها كل من محمد بشاري وصادق رابح، تحت عنوان "صورة الإسلام في الإعلام الغربي"، أنّ محتوى الأفلام الأوروبية التي تناولت موضوع الإسلام والعرب والمسلمين، تظهر العربي جبانا وكسولا وساذجا، وشخصية داعرة تعمل على إفساد السياسات الحكيمة للدول الغربية، وشخصية شهوانية تعشق الشبق الجنسي وتعدد الزوجات وكثرة الأطفال، كما أنه شخصية سطحية تؤمن بالخرافات، وشخصية عنيفة تقتل بلا رحمة، وتحمل دائماً الخنجر أو المسدس".[135]

كما تم ربط الإسلام بالأصولية وببعض الحركات السياسية الإسلامية المتشددة، مثل تنظيم "القاعدة"، ولم يفرق الإعلام الغربي بين المسلم المعتدل والمسلم المتطرف، ونتيجةً لذلك ساهم الإعلام في خلق أسطورة الإرهاب، فقد دأب الإعلام الغربي على تضمينه صور مغلوطة في رسائله بأن الإسلام دين عنف، ويضطهد المرأة ويظلمها في الميراث، ويُجبرها على لبس النقاب، وهو ضد حرية المعتقد، ودين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات، ويحرّم الفنون من موسيقى ورسم ونحت، و أنّ محمدا رجل شهواني ومقاتل ومؤلف للقرآن".[136]

فعلى سبيل المثال، نشرت صحيفة "القدس العربي" اللندنية بتاريخ 28. 2. 2013 خبراً بأن زعيم حزب يميني متطرف في بلجيكا، وهو فيليب ديونتر، حيث شبّه النساء المسلمات اللواتي يرتدين النقاب بأكياس القمامة، ووضع فيليب على حسابه بـ "تويتر" صورة لسيدة منتقبة ترتدي العباءة وابنتها، بين كيسيّ قمامة، وطالب متابعيه بتحديد خمسة فروق بين المنتقبتين وكيسيّ القمامة، ورد عليه رئيس حزبه خرولوف أنيماس "أن الفرق بين النقاب وأكياس القمامة هو أن الأخير شيء مفيد وينفع المجتمع"، وسبق لـ "ديونتر" أنْ استفز المسلمين في بلجيكا بنشر صورة لابنته آنا صوفي (19)عاماً قبل أيام، وهي ترتدي ملابس سباحة "بكيني" ونقاباً، وكَتب تحت الصورة "الحرية أو الإسلام".[137]

كما أصدرت المجلة الألمانية عدداً خاصاً (52) عام 2008 بعنوان "القرآن أقوى كتاب في العالم"، حيث قامت المجلة الألمانية بوضع صورة امرأة منقبة على الغلاف تحت خلفية سوداء قاتمة، مطأطأة الرأس، وكأنه إيحاء بأن القرآن هو السبب في عدم تحرير المرأة العربية والمسلمة.

[135]- محافظة 2002، ص 94

[136]- محافظة 2002، ص ص 95–97

[137]- http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=online\data\2013-02-28-16-53-06.htm

كما أظهر غلاف آخر للمجلة، صورة فتاة مسلمة ترتدي العباءة السوداء، ورأسها مطأطأ إلى أسفل، ومكتوب تحت الصورة " ابنة الله بلا حقوق، النساء المسلمات في ألمانيا".

ونلاحظ من الأعداد السابقة، أنّ الأصولية مرتبطة فقط بالإسلام؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية يوجد 700 فرقة أصولية، ولذلك وصف نعوم تشومسكي [138] وسائل الإعلام الأمريكية بالأجهزة الأيدولوجية المكرسة لخدمة السلطة، وتصنيع الاجماع، وأدوات للتعبئة".[139]

غلاف آخر للمجلة، يَظهر عليه أيضاً صورة مسلم يحمل قرآناً احتجاجاً على الرسوم الكاريكاتيرية التي نُشرت في أحدى الصحف الدنماركية، وعلى أثرها اندلعت حتجاجات غاضبة في معظم دول العالم، وعلى الغلاف كُتب بالخط العريض "الحقد المقدس".

هذه الصور، مهدت الأرضية، وهيأت المُناخ، لكي تقدم مجموعات يمينية متطرفة على ارتكاب جرائم بحق مهاجرين في ألمانيا ؛ فقد كشف الادعاء الألماني بتاريخ 11. 11. 2012 اللثام عن تورط نازيين جدد، بقتل تسعة مهاجرين معظمهم أتراك ويوناني وشرطية ألمانية بين عامي 2000 و 2006.[140]

5– صورة العربي بعد أحداث 11. 9. 2001

لقد اختصر أستاذ اللغات الرومانسية والآداب في جامعة "جونز هوبكنز" في بالتيمور كريستيان دولاكومباني (1949 – 2007)[141]، الحدث الدرماتيكي للحادي عشر من أيلول 2001 بالقول: إنّه "علامة وإمارة على ذروة سوء التفاهم بين الإسلام والغرب، وأنّ ثمة شيئًا تحت السطح ما زال يعمل عمله منذ زمن بعيد نسبياً، ويتغذى على فكرة الحروب المقدسة التي تعود إلى العصور الوسطى".[142]

---

[138]- Avram N oam Chomsky

ولد تشومسكي عام 1928 في بنسلفانيا الأمريكية، مفكر لسانيات أمريكي من أصل يهودي

[139]- شومسكي 2003، ص 274

[140]- www.dw-berlin.de 11. 11.2012

[141]- Christian Delacampagne

[142]- الصادقي وآخرون 2011، ص 74

وفي كتابه "الإسلام في أوروبا، تكيف متبادل بين الأحكام الفقهية والتشريعات الغربية"، بيّن صلاح عبد الرزاق أن الدول الأوروبية شهدت تسامحاً بين أعوام 1980 – 2000 مع المسلمين الذين يعيشون على أراضيها، حتى حدوث اعتداءات نيويورك واشنطن في 11. 9. 2011 التي شكلت مرحلة مضطربة تضمنت العودة إلى التوتر، واتهام الإسلام والمسلمين بكل ما هو سيء وإرهابي وتعصّبي".[143]

وقد فسر هاشم صالح هذه الأحداث فلسفياً، حيث قال: "حتى أكبر ضربة إرهابية في التاريخ (أي 11 سبتمبر/ أيلول) لم تحصل إلا لكي يستيقظ المسلمون من غيبوبتهم، ويقوموا بمراجعة موروثهم من أوله إلى آخره، هذا هو المغزى الفلسفي العميق لضربة 11 سبتمبر، التي تتحكم بالسياسة الدولية حتى اللحظة، وإلا فلا معنى لها على الإطلاق".[144]

رأي آخر، رأى أنّ أحداث الحادي عشر كانت "مفبركة" من قبل أجهزة المخابرات الأمريكية، لإيجاد عدو جديد للغرب، والمقصود هنا الحركات الإسلامية بدلاً من "العدو الشيوعي سابقاً".

وفي مقدمة هؤلاء الكاتب الألماني جيرهارد فيسنفسكي[145]، الذي أوضح بالصورة ان أحداث 11. 9 "مفتعلة"، وأعطى مثالاً على ذلك عدم وجود آثار لسقوط طائرة "الطيران الاتحادي رقم 93" وهي من نوع "بوينغ 757"، والتي سقطت في ولاية بنسلفانيا[146]، وتحت صورة للحادث كَتب يقول "أين الطائرة ؟".[147]

بعد هذا التاريخ، أصبحت ظاهرة الخوف من الإسلام أو ما اصطلح عليه بالإسلاموفوبيا[148]، من أكثر الظواهر التي تحظى باهتمام الرأي العام في الغرب، ومن أسباب بروز ظاهرة الخوف من الإسلام "مقولة الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد المسلمين التي أضحت تشكل عقدة خوف من الإسلام، امتدت آثارها بشكل سلبي وواضح إلى الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية"[149]، كما أصبحت ورقة رابحة بيد الحركات والأحزاب السياسية اليمينية في أوروبا، لكسب أكبر عدد ممكن من الناخبين خلال الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية، وخاصة في هولندا مثلاً.

وُيفسر هشام شرابي، ظاهرة الإسلاموفوبيا على النحو التالي: "إن الإسلام السياسي هو صنيعة المستشرقين في القرن التاسع عشر، حيث تم اعتبار الإسلام مزيجاً من الدين والسياسة، مما جعله في نظرهم

---

[143]- عبد الرزاق 2010، ص 12

[144]- صالح، هاشم، ما أحوجنا إلى هيغل عربي، صحيفة "الشرق الأوسط"، لندن، السبت، 29. 6. 2013، العدد 12632، صفحة الرأي.

[145]- Gerhard Wisnewski

[146]- Pennsylvania

[147]- Wisnewski2003, pp. 246-249

[148]- Islamophbia

[149]- ابن سعيد 2010، ص 106

قوة عنيفة وهجومية، بل ومتفجرة، ويفسر هذا إلى حد كبير الحالة النفسية المتسمة بالخوف المرضي من الإسلام."[150]

ويقر شرابي بأنّ الإسلام السياسي صنع غربي، بما يترتب عنه من خوف مُرضٍ من الإسلام الجهادي، فإنه يُقرّ في الوقت نفسه، بغياب السياسي في الدولة الإسلامية التي كانت في الواقع دولة أو إمبراطورية دينية يهيمن فيها الديني على السياسي".

لكن هذا التفسير لوحده لا يكفي، فقد قلنا سابقاً، أنّ الإيدولوجية الصهيونية عميقة الجذور في الحركة الإمبريالية القومية الغربية، وكما يقول عالم الاجتماع مكسيم رودنسون، هي جزءٌ من العقلية التوسعية للاستعمار الغربي في أواخر القرن التاسع عشر، لذلك وجدت من أحداث اختطاف طائرات مدنية من قبل تنظيم "القاعدة"، وارتطامها في أبراج تجارية في الولايات المتحدة الأمريكية، فرصة سانحة ومواتية لتشويه صورة العرب والمسلمين، وكسب مزيد من تعاطف الرأي العام الغربي مع الإيدولوجية الصهيونية، باعتبارها مشروعا متقدما للغرب في الشرق الأوسط، وحشد القوى السياسية المحافظة في الغرب وتأليبها ضد العالمين العربي والإسلامي.

فمن تداعيات أحداث 11. 9. 2001، وما تبعها من حرب عالمية ضد ما أطلق عليه "محاربة الإرهاب"، نجد أنّ "الولايات المتحدة وإسرائيل قد استغلتا العمليات الفدائية الفلسطينية لمماهاتها ومماثلتها مع ما تعرضت له الولايات المتحدة من اعتداءات، وممارسة الضغوط على العديد من الأطراف الدولية لتصنيف هذه الفصائل ضمن لائحة التنظيمات الإرهابية".[151]

كما وصل ابتزاز اللوبي الصهيوني في ألمانيا بعد أحداث تفجيرات 11 أيلول 2001، إلى إجبار الحكومة الألمانية على إقامة نصب تذكاري لليهود من ضحايا النظام النازي، وسط العاصمة "برلين"، بكلفة 25 مليون دولار على مساحة قدرها 20 ألف متر مربع، والنصب هو فكرة الصحفية الألمانية، اليهودية الأصل ليانا روش التي قامت بزيارة متحف "يادفاشيم" في إسرائيل، وأنتجت فيلماً وثائقياً حول ضحايا المحرقة.

وتقدّر التعويضات التي دفعها الجانب الألماني لليهود منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وحتى أحداث 11 سبتمبر 2001، حوالي 60 مليار دولار، وذلك حسب ثلاث اتفاقيات وُقّعت عام 1952، واتفاق خاص وُقّع

[150]- الصادقي وآخرون 2011، ص 88
[151]- أبو مطر 2012، ص 353

لاحقاً، كما تطالب الجمعيات والمنظمات اليهودية الشركات والمصانع الألمانية، والبالغ عددها 4025، بدفع الفوائد المستحقة على حصتها، والتي تعادل 50 مليون دولار.[152]

ويعرض نورمان دانيال في كتابه "الإسلام والغرب"، مشكلة أساسية تتمثل في أنواع سوء الفهم المتبادل الذي يعود في أساسه إلى سوء تمثل أحدهما للآخر، ويقول: "بعد 11. 9 استقرت صورة مشوهة عن الإسلام في أذهان الأوروبيين ووعيهم"[153]، وقد وصل الأمر بصحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية إلى الاعتراف بتاريخ 26. 5. 2004، بأنها ارتكبت أخطاء في تغطيتها للأحداث التي تلت تفجيرات 11 سبتمبر 2011.

لهذا، ازدادت مسألة العلاقة بين الإسلام والغرب صعوبة وتعقيداً كبيرين، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر وتداعياتها الحاصلة والمتواصلة الحصول في العالم.[154]

وهنا يقول الناشط السياسي العربي بدر محمد: "إنّ السياسيين الألمان هم المسؤولون عن تشويه صورة العربي في ألمانيا ؛ ففي كل حي في برلين مثلاً، يوجد طبيب أو مهندس عربي".[155]

وكانت مؤسسة "كونراد أديناور" الألمانية، قد نظمت مع "الألكسو" في تونس ندوة بعنوان "صورة الوطن العربي في الصحافة الألمانية"، تطرق فيها محمد العزيز بن عاشور المدير العام للألكسو، إلى أسماء كبار علماء الاستشراق الألمان، مثل كارل بروكلمان وجوزيف شاست وريشار ايتنغوسن وفلوجل أنجليكا وغيرهم، حيث طالب بالتصدي لانتشار الصورة المتعصبة والمغلوطة والرافضة للآخر، بالاعتماد على مشاعر الكراهية والبغضاء والآراء السطحية، ولا يكون ذلك إلا بواسطة الحوار، وإعلام الرأي العام في الجهتين بواقع الآخر، إعلاماً صحيحاً معتدلاً متفهماً لخصوصيات الآخر".[156]

وقال توماس شيلر، الممثل الإقليمي لمؤسسة "كونراد أديناور"، أنّ الندوة تهدف إلى بناء صورة صحيحة عن الآخر عن طريق الإعلام، الذي أصبح اليوم مؤثراً أكثر من ذي قبل، ومن المفروض أنْ تكون الصورة التي يرسمها عن الآخر صحيحة ومبنية على الواقع.

لقد انتقل العداء بعد هذا التاريخ، ليطال كل عربي ومسلم كما يقول هشام شرابي؛ "فالشخص الذي يحمل ملامح شرق أوسطية، يتعرض لنظرات تشككية وأحياناً إلى إهانات لفظية، وهناك ملاحقات من قبل رجال الأمن واعتقالات بدون أدنى سبب، ودون شك هناك تشويه حقيقي وعميق للوجه العربي والإسلامي والفلسطيني

[152]- عويضة، بسّام: "الحكومة الألمانية تُقيم نصباً تذكارياً لليهود من ضحايا النازية وسط برلين، صحيفة "القدس"، القدس، 7. 10. 2001
[153]- الصادقي وآخرون 2011، ص 80
[154]- عبد اللطيف، 2003، ص173-
[155]- مقابلة أجراها الباحث مع الناشط السياسي بدر محمد، في العاصمة الألمانية برلين، بتاريخ 18. 4. 2013
[156]- www.dw-berlin.de

بوجه خاص، وهناك سببان لهذا التشويه الأول، هو التشويه التاريخي والمعروف والمتأصل بين الإسلام والمسيحية، والثاني هو التشويه المقصود؛ أي من خلال وسائل إعلام ومراكز أبحاث ومؤرخين وكتّاب أوروبيين وأمريكيين، يمثلون موقفاً إيديولوجياً وسياسياً مسانداً لإسرائيل، ومدافعاً عن الصهيونية".[157]

وفي الجانب المقابل، هناك أصوات في ألمانيا أشارت إلى النفاق الغربي والألماني على وجه الخصوص، تجاه الأعمال التي تقوم بها إسرائيل، إلّا أنّ هذه الأصوات واجهت موجة انتقادات عنيفة جداً، سواء من وسائل الإعلام الألمانية، أو من اللوبي الصهيوني في ألمانيا.

فالأديب الألماني غونتر غراس الحائز على جائزة نوبل للآداب، شن هجوماً لاذعاً على إسرائيل واصفاً إيّاها بأنها تهدد السلام العالمي، وانتقد رغبتها في ضرب إيران وذلك من خلال قصيدة جديدة.

قصيدة غراس أثارت موجة انتقادات حادة في ألمانيا التي ترفض أي انتقاد موجه لإسرائيل، غراس وجه في قصيدته التي نشرتها معظم الصحف الألمانية، انتقادات لألمانيا بسبب صفقات بيع السلاح لإسرائيل، ويعد غراس البالغ من العمر(84)عاماً من أبرز مؤيدي قضايا الشعوب الضعيفة في ألمانيا، ومناهضاً للتدخل العسكري للدول الكبرى في أنحاء العالم، ومنها غزو العراق.

فقد كتب في قصيدته:

"لماذا أتساءل الآن أن امتلاك إسرائيل لقوة نووية تهدد السلام العالمي؟ لأن هذا ما يجب أن ُيقال اليوم قبل فوات الآوان لقوله غداً.

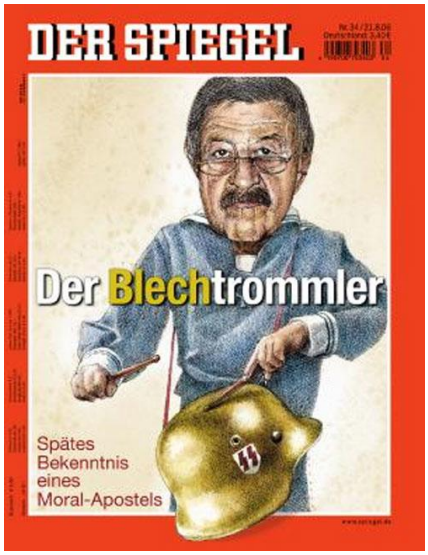

النازية في ألمانيا، وأهوال الهولوكوست ليست ذريعة، لأن نصمت على امتلاك إسرائيل للسلاح النووي، لن أصمت لأنّي مللت من نفاق الغرب لإسرائيل".[158]

وفي أعقاب صدور هذه القصيدة، قامت مجلة "دير شبيغل" بنشر صورة للأديب غراس على الغلاف الخارجي[159]، وهو "يطبل" على قبعة للقوات النازية التابعة لهتلر، في إشارة منها، وكأنه يريد إحياء العداء لليهود في ألمانيا من جديد.

[157]- أبو عرجة 2009، ص 153

[158]- http://arabic.euronews.com/2012/04/04/german-nobel-laureate-s-israel-iran-policy-poem-causes-storm

[159]- مجلة "دير شبيغل"، صدر العدد بتاريخ 6. 4. 2012

وورد في صحيفة "القدس"، تقرير موسع عن صورة "العرب والمسلمين في الإعلام الألماني"، جاء فيه أنّ "الآلة الإعلامية الغربية نفثت سمومها لمحاكاة ما يدور في خلجات وصدور المواطنين الغربيين، الذين يعتبرون أنهم جُرحوا في عقر دارهم، فقد اتبع صحافيون أسلوب إعلام الإثارة في تقاريرهم الصحافية، ودعوا إلى ربط الإرهاب بالإسلام والمسلمين، باعتباره ديناً متطرفاً، يدعو للعنف بطبيعته، وأنّ الإسلام وعد الإرهابيين بالجنة، وبالنساء الحوريات الجميلات، وبأنهار من العسل في حال قيامهم بتفجير أنفسهم وقتل المدنيين".[160]

ويُظهر الإعلام الغربي أنّ "الإسلام دين متعصب، يدعو إلى قتل اليهود والمسيحيين، وقتل جميع الأمريكيين دون تمييز بين عسكريين ومدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال، كما أنّ رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق سيلفيو برلسكوني، قال في مؤتمر صحافي في برلين، إنّ الحضارة الإسلامية لا ترقى إلى مستوى الحضارة الغربية[161]، وبثت قناة "إن تي في"[162] الألمانية الإخبارية، برنامجاً خاصاً حول حركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي"، أشارت فيه إلى أنّ الحركات الإسلامية متعصبة، تمارس إرهاباً وترسل فرقاً انتحارية لقتل المدنيين، وبث الرعب والفوضى في صفوف السكان الآمنيين في إسرائيل".[163]

وعقب أحداث 11. سبتمبر، قامت قوات الأمن الألمانية بتفتيش بيوت العديد من النشطاء العرب والفلسطينيين، المحسوبين على التيارات اليسارية والقومية، الذين ليس لهم أية توجهات دينية، الأمر الذي حدا بالمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، إلى إرسال رسالة إلى الحكومة الألمانية أوضح فيها أنّ "المسلمين في ألمانيا يخشون من تفاقم الحالة الراهنة، لتتحول إلى تعامل حاد مع المهاجرين ذوي الأصول المسلمة".[164]

وكانت وزارة الخارجية الألمانية، قد أكدت أنّ عدد الضحايا الألمان الذين سقطوا في أحداث 11 سبتمبر، بلغ (80) شخصاً.

وادّعت صحيفة "بي. تست" الألمانية واسعة الانتشار، أنّ "خلية الشاب المصري محمد عطا الذي اتهم بقيادة الطائرة الأولى، والتي اصطدمت بمركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك، ينتمي لجماعة خليفة كولون" (المقصود هنا مدينة كولونيا غرب ألمانيا)، وأشارت الصحيفة إلى أنّ التخطيط لعمليتي واشنطن ونيويورك تم في ألمانيا عام 1997.

---

[160]- عويضة، بسّام: "الإسلام وعد الانتحاريين بالجنة والحوريات: صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي، صحيفة "القدس"، القدس، 2. 10. 2001

[161]- صحيفة القدس العربي، بتاريخ 1. 11. 2001

[162]- NTV

[163]- م. س.

[164]- صحيفة "القدس"، الأربعاء، 19. 9. 2001

وحسب المجلة الأسبوعية الألمانية "فوكس"؛ فقد بينت أنّ أجهزة المخابرات الألمانية (لجنة حماية الدستور)، قدمت معلومات دقيقة لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي، تثبت تورط طلاب عرب يعيشون في ألمانيا مع أسامة بن لادن، مدعية أنّ هناك 20 "إرهابياً نائماً"على الأراضي الألمانية.[165]

كما انتقدت الخبيرة الألمانية هايدرون كيمفاور التقارير الصحافية للإعلاميين الألمان، وقالت: إنّ المضايقات والاعتداءات التي يتعرض لها المسلمون وخاصة العرب منهم، ترجع إلى طريقة تناول ممثلي وسائل الإعلام للأحداث، وتغطيتهم للهجمات التي طالت الولايات المتحدة".[166]

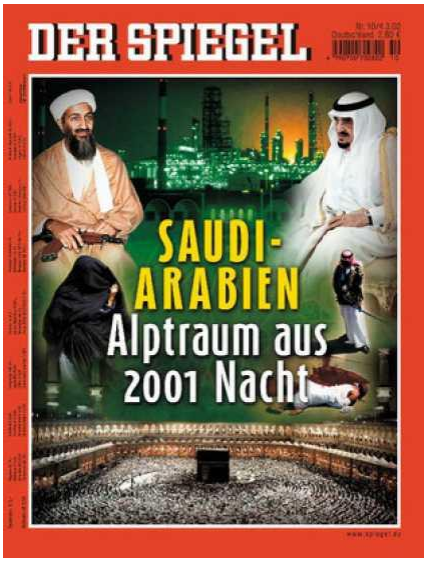

وقد وصل الأمر بمجلة "دير شبيغل" إلى إصدار عدد خاص، انتقدت فيه أوضاع حقوق الإنسان في السعودية، وعمليات الإعدام التي تنفذها السلطات السعودية، وخاصة حقوق المرأة، وكل ذلك على خلفية صورة جمعت الملك السعودي الراحل فهد بن عبد العزيز، وأسامة بن لادن المتهم بالتخطيط لتنفيذ هجمات 11 سبتمبر، وقد كُتب بالخط العريض بجانب صورة لعملية إعدام بالسيف وصورة امرأة منقبة: "السعودية، حلم من ألف ليلة وليلة"، وهي عبارة تهكمية على الوضع المزري لحقوق الإنسان في هذا البلد.[167]

لقد شعر المسلمون في ألمانيا البالغ عددهم أربعة ملايين شخص بعد أحداث 11 أيلول 2001، بأنهم يعيشون تحت وطأة "اشتباه جماعي"، ولم يتفاقم هذا الإحساس إلاّ عندما تبين أنّ عدداً من المشتبه في تورطهم في اختطاف الطائرات، كانوا يقيمون للدراسة في مدينة هامبورغ الألمانية.

هذا الأمر، نبهت له مفوضة شؤون الأجانب لدى الحكومة البرلينية، برباره يون[168] بقولها: إنّ "كثيراً من المسلمين في العاصمة برلين يشعرون بقلق بالغ؛ فهناك نصف مليون نسمة من أصل أجنبي يعيشون في هذه المدينة، منهم 220 ألف من المسلمين غالبيتهم أتراك، بينهم 30 ألف عربي، أغلبيتهم لاجئين فلسطينيين من لبنان".[169]

ويبلغ عدد الأجانب في العاصمة برلين 440 ألفاً، بينهم 136 ألف تركي و 38 ألف يوغسلافي، في حين تبلغ نسبة الأجانب في ألمانيا 9% من عدد السكان الإجمالي، البالغ 82 مليون نسمة.

---

[165]- صحيفة "القدس"، ص 4، الخميس، 4. 10. 2001

[166]- م .س.

[167]- مجلة "دير شبيغل"، 8. 10. 2010

[168]- Barbara John ,CDU .

[169]- صحيفة "القدس" 10. 2001، ص 9

وللمرة الأولى، تدخل أجهزة المخابرات الألمانية حلبة الملاحقة الدولية للمنظمات الإسلامية؛ فقد أصدرت تقريراً أمنياً عن أعضاء الحركات الإسلامية على الأراضي الألمانية، حذرت فيه "من تنامي خطر المنظمات الإسلامية خاصة في أعقاب عمليات واشنطن ونيويورك"، وجاء في التقرير أنّ "عدد الأجانب الذين ينتمون إلى منظمات أصولية متطرفة يقدر بنحو 60 ألفاً، منهم 31 ألفاً ينتمون إلى ما أطلق عليه منظمات إسلامية تركية متطرفة، كما يوجد في ألمانيا 17 منظمة أصولية أكبرها وأهمها جماعة "ملي جروش" الإسلامية التركية، والتي تملك 500 مسجداً".[170]

كما جاء في التقرير الذي قدمه رئيس جهاز المخابرات الداخلية الألمانية بيتر فيشر أنّ "عدد أعضاء جبهة الإنقاذ الجزائرية حوالي 300 عضواً، من أصل 18 ألف جزائري يعيشون على الأراضي الألمانية، ويبلغ عدد أنصار "حماس" من "المتطرفين" 150 شخصاً، ومن "حزب الله" 600 شخصاً، ومن "الجماعة الإسلامية المصرية" 15 شخصاً، وعدد أعضاء"الاتحاد الإسلامي الفلسطيني" الذي تأسس في مدينة "ميونخ" الألمانية عام 1991، بلغ 200 عضواً، وهو محسوب على حركة "حماس الإسلامية".[171]

وقد كشف أحدث تقرير لأجهزة الأمن الألمانية بتاريخ 9. 3. 2013 عن حدوث ارتفاع ملحوظ في أعداد السلفيين بألمانيا خلال العام 2012؛ ففي مقابلة مع مجلة "فوكوس" الألمانية، قال هانز جورج ماسن[172]، رئيس هيئة حماية الدستور"المخابرات الألمانية "[173]: إنّ "أعداد السلفيين بألمانيا ارتفعت العام الماضي من 3800 إلى 4500 شخص".[174]

لقد استغل المجلس الأعلى لليهود في ألمانيا واللوبي الصهيوني أحداث 11 سبتمبر، والأجواء المشحونة تجاه العرب والمسلمين، فعقد مؤتمر حول الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي في برلين بتاريخ 13. 11. 2001، ألقى فيه مردخاي ليفي وزير مفوض في السفارة الإسرائيلية في برلين، حيث هاجم فيه الشعب الفلسطيني وقيادته، وقال: " إنّ الفلسطينيين يتحملون مسؤولية تعثر عملية السلام بعد اتفاقية أوسلو، وبانتفاضتهم (المقصود هنا انتفاضة الأقصى عام 2000) يدعمون الأعمال الإرهابية ضد إسرائيل".[175]

كما يقوم كل عام، سياسيون ومثقفون ألمان ومسؤولون من المجلس الأعلى لليهود في ألمانيا، وبالتحديد في العاشر من شهر مايو/أيار، بإحياء ذكرى قيام النظام النازي بإحراق كتب مفكرين ومثقفين يهود قبل 80 عاماً،

---

[170]- صحيفة "القدس" 12. 11. 2011، ص 12

[171]- م .س.

[172]- Hans-Georg Maassen.

[173]- Bundesamts für Verfassungsschutz

[174]- http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=latest\data.htm 09.03.2013

[175]- صحيفة القدس، ص 6، 14. 11. 2011

فقد قام نازيون في 10 ماي عام 1933 في العاصمة برلين ومدن أخرى، بإحراق كتب لحوالي 130 كاتباً، منهم مؤسس علم النفس سيغموند فرويد[176]، والمسرحي الألماني برتولت بريشت.[177]

وعقب هذه الأحداث المتواصلة، وافقت الحكومة الألمانية ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، في موقف يخالف الدستور الألماني الذي يحظر نشر قوات ألمانية خارج منطقة حلف شمال الأطلسي الناتو، وافقت على إرسال 3900 جندي ألماني إلى أفغانستان، للانضمام "إلى الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب".[178]

6- صورة العربي في وسائل الإعلام الألمانية بعد "الربيع العربي":

6. 1 - الربيع العربي:

بعد اندلاع موجات "الربيع العربي" في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن، حدث تطور ملموس على الخطاب الإعلامي الألماني تجاه الصورة النمطية والكلاسيكية المشوهه للعربي، فقد انتقلت الصورة من صورة العربي "الخانغ" دائماً للسلطة السياسية الحاكمة الذي يتلقى الأوامر، وينفذها بحذافيرها، ولا يتقن إلا "فن السمع والطاعة"، إلى صورة الثائر والمتمرد على النظام السياسي المستبد، والعاشق للديمقراطية، المستعد للتضحية من أجل الحرية، وقد أكدت ذلك قناة التلفزة الألمانية "دويشي فيللي – القسم العربي"، خلال وصفها للإنسان المصري بعد أحداث 25 يناير بأنه "استعاد ذاته من جديد، وأنه لن يقبل الاستبداد والظلم بعد اليوم".[179]

الصحافي يوسف بوفيجلين من قناة تلفزيون "دويشي فيللي"، حاور الصحفي العراقي المقيم في ألمانيا ماجد الخطيب، وسأله، هل غيرت الثورات العربية بعض الصور النمطية الموجودة في الإعلام الألماني عن العالم العربي؟ فقال: "أعتقد أنّ الربيع العربي غير جزئياً من تلك الصور، فقد أثبتت الشعوب العربية أنها تريد التحرر من قبضة الدكتاتوريات، وتريد مستقبلاً أفضل، لكن أعمال العنف التي تبعت تلك الثورات أعطت انطباعاً معاكساً، وبذلك فإن الصورة النمطية للعربي في أوروبا لم تتغير كثيراً، كما أننا نقرأ ونشاهد عملية التخويف من وصول التيارات الإسلامية إلى السلطة بعد تلك الثورات، وهذا الأمر قد ينعكس سلباً على صورة العربي في أوروبا مستقبلا".[180]

---

[176]- فرويد 1856 -1939، طبيب نمساوي من أصل يهودي، مُؤسس علم التحليل النفسي.

[177]- بريشت 1898 -1956، يعد من أهم كتاب المسرح في القرن العشرين، من أهم أعماله "الأم".

[178]- م. س

[179]- موقع "دويشي فيللي" الألماني 25. 1. 2011

[180]- موقع "القنطرة" الألماني، ديسمبر 2011

وأضاف يقول: "ما يجب قوله أنّ الإعلام الألماني الذي يتمتع بمهنية عالية، التزم الحياد نسبياً في نقل الأخبار المتعلقة بالثورات العربية، قد استطاع أن يتخلص من بعض الكليشهات السابقة، بل وساهم إلى جانب الإعلام العالمي في الكشف عن الجانب الآخر من الحقائق، كما حدث في الشأن الليبي، حينما ركزت الصحافة الألمانية على العلاقة التي كانت تربط أجهزة المخابرات الغربية بنظام القذافي، من ناحية أخرى ابتعد الإعلام الألماني عن نظرية المؤامرة السائدة في الشارع العربي، والتي تقول إنّ هذه الثورات مفتعلة من قبل الغرب، لكن نفس وسائل الإعلام ركزت على بعض الصور النمطية، بل وتخويف الرأي العام من خطر الإسلاميين في هذه الثورات، وهو ذات التخويف الذي استعملته تلك الأنظمة الدكتاتورية للدفاع عن نفسها وتبرير بقائها، وهو أمرٌ سيء".[181]

وبمناسبة الذكرى الثانية لانطلاقة "الربيع العربي"، أفردت معظم الصحف الألمانية بتاريخ 18. 2. 2013 عناوين بارزة لما أسمته "خطر عودة الاستبداد لبلدان الربيع العربي"، والمقصود هنا "استلام الحركات الإسلامية مقاليد الحكم".

فقد كتبت صحيفة "تاغسشبيغل"[182] تقول: "لا أحد يمكنه التنبؤ بما ستؤول إليه الأحداث في بلدان "الربيع العربي"، لابد أن يُقرن الدعم المالي بشرط الاحترام الكامل لقيم نبذ العنف، وحرية التعبير وحرية العقيدة كقيم غير قابلة للمساومة، بالمقابل، يجب الاعتراف بالشرعية الديمقراطية للحكام الجدد، لأنهم - شئنا أم أبينا- يمثلون إرادة الأغلبية لشعوبهم".[183]

أما صحيفة "فرايتاغ"[184]، فاهتمت بالأوضاع في كل من مصر وتونس وقالت:

"إن الغرب لا زال يأمل من كل من زعيم حزب النهضة في تونس راشد الغنوشي، والرئيس المصري محمد مرسي أن يتقنا بسرعة آليات العمل الديمقراطي".[185]

وذهبت صحيفة "ميتلدويتشه تسايتونغ"[186] في نفس الاتجاه، وكتبت معلقة: "هناك تعثر في عملية الانتقال الديمقراطي، وتعيش المجتمعات التي تخلصت لتوها من حكامها المستبدين، انقساما عميقاً بين القوى العلمانية والقوى الدينية".

[181]- موقع "القنطرة" الألماني، ديسمبر 2011

[182]- Tagesspiegel

[183]- www.dw-berlin.de 18.2. 2013

[184]- Freitag

[185]- www.dw-berlin.de 18.2. 2013

[186]- Mitteldeutsche Zeitung

وتساءلت الصحيفة: "هل يعني هذا أنّ منطقة شمال إفريقيا تتجه نحو "خريف أو حتى شتاء عربي"؟ نأمل ألا يحدث ذلك".[187]

وتقاسمت صحيفة "شتوتغارته تسايتونغ"[188] نفس القلق في تعليقها، وقالت:

"الخطر محدق في أن تعود الأنظمة الاستبدادية إلى السلطة في دول الربيع العربي، المصريون والتونسيون غير مستعدين لقبول ذلك، من واجب الغرب أنْ يدعم بصدق هذه الدول في طريق بحثها عن الديمقراطية، إنّ الحديث عن "الخريف العربي" لا يخلو من غطرسة، لأن في ذلك إشارة منا لأولئك الذين يكافحون من أجل الديمقراطية، إشارة تقول لهم بأننا تخلينا عنهم".[189]

لقد ذكرنا سابقاً، أنّ التغيير الإيجابي الذي حصل عام 2011 على صورة العربي في وسائل الإعلام الألمانية، تغير نحو الاسوأ في عامي 2012 و 2013 بسبب سيطرة الحركات والأحزاب الإسلامية على مقاليد الحكم في دول "الربيع العربي".

وعن سبب ذلك بين الإعلامي حكم عبد الهادي[190]، أنْ الإعلام الألماني تفاجأ من "ثورات الربيع العربي"؛ فالحكومة الألمانية لا تريد أنْ تخسر علاقاتها، وهذا بالطبع انعكس على وسائل الإعلام، فقد ادعت تلك الوسائل قبل عام 2011 أنّ العرب والديمقراطية لا يلتقيان، ولكنها بعد ذلك تفاجأت بالحراك الاجتماعي، و لكن بعد تسلم الحركات الإسلامية وبالذات جماعة الإخوان المسلمين مقاليد الحكم في بعض الدول العربية التي اجتاحها الربيع العربي، عادت وسائل الإعلام الألمانية للصورة النمطية التقليدية عن العربي".[191]

وقد أكد هذا الرأي أيضاً، المسؤول في المركز الألماني – العربي للاندماج والتعليم أبو حسن معروف، أنّ "الإعلام الألماني كان ينظر تقليدياً إلى العرب والمسلمين نظرة سلبية، ومع مرور الوقت خاصة بعد التغيرات التي اجتاحت المنطقة العربية، اختلف الوضع، فقد آمن بأنّ الإنسان العربي يُؤمن بالوصول إلى السلطة عن طريق صندوق الانتخابات، وتداول السلطة السياسية".[192]

---

[187]- www.dw-berlin.de 18.2. 2013

[188]- Stuttgarter Zeitung

[189]- www.dw-berlin.de 18.2. 2013

[190]- حكم عبد الهادي إعلامي ألماني من أصل فلسطيني، عمل لمدة تزيد عن أربعين عاماً في إذاعة "دويشي فيللي" الألمانية، ويُعتبر أحد الوجوه العربية البارزة في وسائل الإعلام الألمانية.

[191]- مقابلة حصرية أجراها الباحث مع عبد الهادي، وقد أُجريت المقابلة بتاريخ 3. 6. 2013

[192]- مقابلة حصرية أجراها الباحث مع أبو حسن معروف، المسؤول في المركز الألماني– العربي للاندماج والتعليم في العاصمة الألمانية "برلين"، وأحد أبناء الجالية الفلسطينية في ألمانيا، وقد أجريت المقابلة بتاريخ 18. 4. 2013.

كما نقل موقع "دويشي فيللي" بتاريخ 27. 2. 2013 تقريراً عن منظمة "هيومن رايتس ووتش"، قالت فيه المنظمة: إنّ "نشوة الربيع العربي تراجعت أمام تحديات بناء أنظمة ديمقراطية"[193]، وهذا ما دعا مؤسسة "فريدريش ايبرت شتفتنك"[194] الألمانية، إلى تنظيم ندوة بعنوان "الربيع العربي والذهاب إلى المجهول".

6. 2 - مصر:

بعد 25 يناير، أفردت مجلة "دير شبيغل" عدداً خاصاً عقب اندلاع "الثورة المصرية"؛ فقد وضعت على غلاف المجلة صورة لسيدة مصرية بدون حجاب و بلباس عصري، بعكس ما كان سائدا، وهي ترفع العلم المصري، وكُتبت على يمين الغلاف: "المصريون يُكافحون من أجل الحرية".

في المقابل، بعد تسلم بعض الحركات الإسلامية الحكم في بعض الدول العربية التي اجتاحها "الربيع العربي"، مثل مصر وتونس وليبيا، أبرزت مجلة "دير شبيغل" صورة سيئة عن الحركات الإسلامية السلفية التونسية، ووصفتها بأنها حركات متعصبة وعنيفة.

وقد شنت مجلة "دير شبيغل"، هجوماً عنيفاً على الرئيس المصري محمد مرسي بتاريخ 1. 2 2013؛ أي قبيل زيارته الأولى إلى ألمانيا، حيث قالت المجلة إن الرئيس مرسي وصَف في فيديو مُسجل له عام 2010 اليهود بأنهم "مصاصي دماء، ومحبي الحروب، وأنهم من سلالة القرود والخنازير، كما أنه يشجب المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية".[195]

وقد رد الرئيس مرسي على ذلك خلال مقابلة أجرتها معه المجلة، بأن الحديث اقتطع من سياقه، وأخذ جزءاً من كل".[196]

بعد ذلك، أجرت المجلة الألمانية حواراً مُطولاً مع المعارض محمد البرادعي، الذي استنكر انكار الإخوان المسلمين في مصر لمحرقة اليهود "الهولوكوست"[197]، وقال البرادعي: إنّ "سبب انسحاب معظم القوى

[193]- تقرير صدر عام 2013، ويقع في 665 صفحة، وقد ورد في موقع " دويشي فيللي ".
[194]- مؤسسة تابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي المعارض، تأسست عام 1925، وهي تعنى بنشر ثقافة حقوق الإنسان والتعددية الديمقراطية.
[195]- Der Spiegel 1. 2. 2013 (www.spiegel.de)
[196]- Ibid.
[197]- Der Spiegel 5. 2. 2013

الليبرالية، وممثلي الكنيسة من الجمعية التأسيسية لكتابة الدستور، هو الخشية من أنْ "تمرر" جماعة الإخوان المسلمين دستوراً يهمش حقوق المرأة والأقليات الدينية".[198]

وبتاريخ 7. 3. 2013، أفرد موقع "دويشي فيلل " تحت زاوية "شؤون ثقافية"، مساحة واسعة لبرنامج "البرنامج" الذي يقدمه باسم يوسف على قناة "سي بي سي"[199] المصرية، كل يوم جمعة في تمام الساعة التاسعة والنصف مساء بتوقيت فلسطين.

وقال الموقع: "أطلقت قناة "أمجاد" الإسلامية برنامجاً سياسياً ساخراً بعنوان "الإرهابي"، لينافس "البرنامج" في حرب البرامج السياسية الساخرة، ويسخر البرنامج من القيادات المعارضة، مثل محمد البرادعي أحد زعماء جبهة الإنقاذ الوطني".[200]

وبتاريخ 24. 4. 2013، أورد موقع "دويشي فيللي" خبرين مهمين:الأول، عن مصر، ففي تقرير بعنوان: "الإخوان المسلمون في مصر، واجهة ديمقراطية وهياكل مبنية على الولاء"، قال العضو السابق في الجماعة أسامة درة، والذي تركها عام 2011: "كان البعض يُقبل الأيادي".

كما أورد موقع "دويشي فيللي" بتاريخ 12. 5. 2013، خبراً عن قيام المحامي المصري نبيل الوحش الذي يرفع عادةً دعاوي قضائية ضد كتّاب وسياسيين وفنانيين وممثلين، مناهضين لحكم الإسلاميين في مصر.

بين الخبر أنّ الوحش، رفع قضية ضد الراقصة سما المصري (32) عاماً، بحجة أنّ "أغانيها الساخرة تمثل خطراً على الأمن القومي".

وبتاريخ 11. 6. 2013، أورد موقع " دويشي فيللي" تقريراً بعنوان: "الحكومة الألمانية تندد بدعوات متشددين مصريين بقتل الكاتب حامد عبد الصمد".

تحت العنوان وُضعت صورة للكاتب الذي يحمل الجنسية الألمانية، وكتبت تقول: نقلاً عن عبد الصمد "لا أعتقد أنّ الإخوان هم من أوجدوا الفاشية الدينية، بل هي موجودة في الإسلام نفسه، لقد أراد النبي محمد في القرن السابع أن يفرض الإسلام كدين وثقافة وحيدتين وسائدتين".

[198]- http://www.albawaba.com/ar
[199]- CBC
[200]- www.dw-berlin.de 7.3. 2013

وبين الموقع أنّ قيادات من الجماعة الإسلامية، وصفت عبد الصمد على قناة "الحافظ" بـ"الكافر"، وأنّ الحكومة الألمانية نددت بدعوات متشددين مصريين لقتل عبد الصمد الذي قال: "الإخوان يصورون آرائي على أنها رأي المعارضة كلها".

وكان عبد الصمد قد أصدر رواية بعنوان "وداعاً أيتها السماء"، و كتاب "سقوط العالم الإسلامي "، وأورد الموقع المذكور سابقاً تقريراً بتاريخ 2. 6. 2013، تحت عنوان: "مصر: المثقفون في واجهة أخونة الثقافة"، أشار التقرير على لسان عدد من المثقفين المصريين أنّ وزير الثقافة المصري علاء عبد العزيز في حكومة هشام قنديل، هو " دخيل على الجسم الثقافي المصري، وأنّ المثقفين يعتبرونه نوعا من الاستفزاز".

وجاء في التقرير أنّ "الروائي المصري يوسف القعيد اعتبره إهانة للمثقفين المصريين، هدفه تفكيك مفاصل وزارة الثقافة".

6. 3 - ألمانيا:

كتبت المجلة الألمانية بتاريخ 10. 1 .2013، تحت عنوان "سلفيون يعتصمون في مدينة بون الألمانية، أنهم في ازدياد مضطرد "، حيث أبرزت صورة تظهر شبان مسلمين غاضبين، وكُتب تحت الصورة: (مجموعة تريد العودة إلى الماضي).[201]

وكتب الصحافيان الألمانيان Jörg Diehl و Fidelius Schmid حول هذا الموضوع:

"أنهم سلفيون، شبان، متعصبون، عنيفون، ازداد عددهم في ولاية شمال الراين وستفاليا[202]، ضعفين مقارنة بالعام الماضي 2012".

وبينت لهم مسؤولة حماية الدستور في ألمانيا (جهاز المخابرات الألمانية)، أنّ سبب زيادة السلفيين الإسلاميين في ألمانيا يعود إلى انتشار الأفلام الدعائية عن التطرف الإسلامي بين الشبان المسلمين.[203]

وللتصدي أمام الصورة النمطية في وسائل الإعلام الألمانية، أطلقت مجموعة من الشباب ذوي الأصول المسلمة في العاصمة برلين، مبادرة شعرية لتحسين صورة الشباب المسلم في ألمانيا عن طريق الشعر، وقال أحد المبادرين "يرتبط الحديث عن الشباب المسلم في وسائل الإعلام الألمانية بالعنف، وعدم الرغبة في

[201]- http://www.spiegel.de/thema/salafisten

[202]- NRW

[203]- مجلة "دير شبيغل"، بتاريخ 10. 1. 2013

الاندماج والعيش في مجتمعات موازية، وهي صور نمطية لا تعكس الحقيقة، وأنّ الشباب المسلم يكره الفن والأدب، وهي صور تروجها وسائل الإعلام كثيراً".[204]

وننتقل إلى قضية "الختان"، فقد أكد موقع "دويشي فيللي" بتاريخ 6. 2. 2013، هناك ما بين 130 - 150 مليون امرأة يعانين من تشويه الأعضاء التناسلية، معظمهن في أفريقيا، ومن بعض البلدان العربية، لكن الظاهرة امتدت لتصل إلى ألمانيا.

وبَحسب منظمة "أرض النساء"[205] لحقوق المرأة، فقد تعرضت حوالي 30 ألف امرأة للختان في ألمانيا، وهناك 6 آلاف فتاة معرضة لخطره".

وقال الموقع "هناك 29 دولة، بينها 28 دولة إفريقية واليمن الوحيدة من خارج القارة السمراء، لا يزال ختان الإناث يمارس فيها إلى اليوم، رغم أنّ بعضها حظره قانونيّاً، كما هو الحال في مصر التي أكدت فيها المحكمة الدستورية العليا مؤخراً على تجريم ختان الإناث".[206]

كما أفرد الموقع الألماني مساحات واسعة للجالية المسلمة في ألمانيا، فقد بين الموقع أنّ ولاية "بريمن" الألمانية اعترفت مؤخراً بالجمعيات ذات الطابع الديني الإسلامي.

ووصف الناطق باسم مجلس التنسيق للمسلمين في ألمانيا إيرول بيرلي، التوقيع على الاتفاقية الحكومية مع ولاية بريمن بحدث "يدعو إلى السرور"، وحسب هذه الاتفاقية تعترف الولاية رسمياً بثلاثِة اتحادات إسلامية، باعتبارها جماعاتٍ دينية".

وبشأن الاعتراف بالأعياد الإسلامية بين الموقع بتاريخ 15. 2. 2013، "اتخذت ولايات "هامبورغ" و"بريمن" و"هيسن"، إجراءات حكومية تنص على الاعتراف بثلاثة أعيادٍ إسلامية على أساس أنّها أعياد دينية، ويعني ذلك أنّه يمكن إعفاء التلاميذ المسلمين من الحضور إلى المدرسة في أيام الأعياد، كما يحق للعمال المسلمين أخذ يوم عطلة في مثل تلك المناسبات"[207]، كما أبرزت الصحف الألمانية أقوال أيمن مزيك، رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، والذي طالب بالاعتراف بالأعياد الإسلامية.

[204]- موقع دويشي فيللي الألماني 9. 1. 2013

[205]- Terre des Femmes, Menschenrechte für die Frau e.v.

[206]- www.dw-berlin.de 6.2. 2013

[207]- www.dw-berlin.de 15.2. 2013

كما أفرد موقع "دويشي فيللي" الألماني، مساحة كبيرة للهتافات العنصرية التي تُسمع في الملاعب الألمانية، ضد لاعبين من أصول عربية أو مسلمة أو إفريقية؛ فقد بين الموقع أنه تم "نشر لافتات في ملعب ليفركوزن" تدعو إلى مكافحة التمييز.[208]

كما أوردت وسائل الإعلام الألمانية مقطعاً قصيراً بتاريخ 17. 4. 2013، لوزيرة الاندماج في ولاية ساكسونيا دوريس شرويدر كوبف[209]، وهي عقيلة المستشار الألماني السابق جيرهارد شرويدر[210]، وهي تمد يدها لمصافحة رجل مسلم متدين إلا أنه رفض مصافحتها، بحجة أنه لا يريد ملامسة يد امرأة، وكُتب تحت الصورة:

"هذه أفضل مناسبة لنجاح عمل مفوضة الاندماج الجديدة".[211]

وبتاريخ 11. 6. 2013، أورد موقع "دويشي فيللي" الألماني تقريراً تحت عنوان:

"سلطات الأمن في ألمانيا تحذر من مخاطر التشدد الإسلامي".

بين رئيس هيئة حماية الدستور الألمانية[212] (المخابرات الألمانية) هانز جورج ماسن[213]، خلال عرض تقرير سنوي في العاصمة برلين، أنّ "هناك ألف شخص من الأوساط الإسلامية في ألمانيا، خطيرون على الأمن الألماني، بينهم 130 شخصاً تحت المراقبة على مدار الساعة".

وبتاريخ 11. 6. 2013، كشفت مجلة "دير شبيغل" الألمانية أنّ هناك "ارتفاعاً ملحوظاً في عدد مؤيدي حزب الله اللبناني عام 2012، وأنّ عدد أنصار التيار السلفي ارتفع في ألمانيا من 3800 شخصا عام 2011 إلى 4500 شخص عام 2012.

وبتاريخ 26. 6. 2013، أورد موقع "دويشي فيللي" تقريراً تحت عنوان:

"ألمانيا: الشرطة تداهم منازل إسلاميين في ثلاث ولايات"

---

[208]- www.dw-berlin.de 21.2. 2013
[209]- Doris Schröder-Köpf
[210]- Gerhard Schröder , SPD
[211]- http://www.pi-news.net/2013/04/moslem-verweigert-schroder-kopf-handschlag
[212]- Bundesamts für Verfassungsschutz
[213]- Hans-Georg Maaßen

بين التقرير، أنّ الشرطة الألمانية قامت بتاريخ 25. 6. 2013، بتفتيش عدد من بيوت الإسلاميين المتشددين على الأراضي الألمانية، وقالت الشرطة أنّ المشتبه بهم كانوا ينوون تنفيذ عمليات هجومية، بواسطة طائرات يتم التحكم فيها عن بعد".

كما بين التقرير الإخباري أنّ اثنين من الإسلاميين هما من تونس، وأن معظم المشتبه بهم،هم طلبة يدرسون "هندسة طيران" في الجامعات الألمانية في مدينة "شتوتغارت".

6. 4 - السعودية:

غالباً ما تركز وسائل الإعلام ودور السينما الألمانية على السعودية؛ فقد عُرض خلال مهرجان برلين السينمائي الدولي بتاريخ 18. 2 .2013، فلماً سعودياً لأول مرة في المهرجان، وهو بعنوان "حرمة" وتدور أحداث الفلم حول امرأة سعودية توفي زوجها، إلاّ أنها أصبحت غير قادرة على البحث عن عمل بسبب عادات وتقاليد المجتمع السعودي.

وتحتل أخبار السعودية وخاصة أخبار المرأة ،مساحة واسعة في وسائل الإعلام الألمانية؛ فقد أفرد موقع "دويشي فيلي" عنوانيين مهمين:

ناشطات سعوديات: "المرأة السعودية تُعامل كالعبيد ،والإنترنت فضاؤنا الوحيد"

المرأة السعودية: " نعم لدراسة القانون ولا لممارسة المحاماة".[214]

كما أورد الموقع، أنّ حزب الخضر الألماني[215] المعارض، وجه انتقادات للحكومة الألمانية، لأنها أعطت موافقتها لشركة ألمانية لبيع زوارق دورية للسعودية.

من جانبها، وصفت كلاوديا روت[216] زعيمة حزب الخضر في تصريحات لصيحفة "أوستزيه-تسايتونغ" الصفقة بـ"القذرة"، معتبرة أن "السعودية تتجاهل حقوق الإنسان، وتدفع من خلال دعمها للتيارات السلفية الراديكالية إلى نشر اتجاه متطرف".[217]

وبتاريخ 23. 2. 2013، أورد موقع "دويشيي فيللي" في زاوية "قضايا اجتماعية"، أنّ "السلطات السعودية أقرت قواعد "تأنيث" محال المستلزمات النسائية، بعد كثرة المطالبات بالسماح للنساء في العمل في

[214]- www.dw-berlin.de 11.2.2013
[215]- Bundes 90 Grüne
[216]- Claudia Roth, B 90 Grüne
[217]- www.dw-berlin .de 11. 2.2013

محلات بيع المستلزمات النسائية، وأن الشرطة الدينية السعودية اعتمدت القواعد التفصيلية الخاصة بذلك، حيث لا يُسمح بالعمل في تلك المحلات سوى للنساء السعوديات مع مراعاة ضوابط معينة".

وجاء في الخبر أنّ "الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الشرطة الدينية السعودية)، الدكتور عبد اللطيف آل الشيخ، أقر قواعد تأنيث محال المستلزمات النسائية، وأكدت القواعد، التي وزعت في العاصمة الرياض في 22 فبراير/ شباط 2013 على وجوب تخصيص جميع محلات المستلزمات النسائية، للنساء فقط، ومنع الرجال من دخولها وقصر العمل بهذه المحال على النساء السعوديات، ومراعاة التقيد بالقيم والأخلاق الإسلامية".[218]

وبتاريخ 11. 3. 2013، وتحت عنوان: "حقوقي سعودي: مشكلة السعودية ليست فقط في أسرة ديكتاتورية وشعب مسكين!"، أفرد موقع "دويشي فيللي" مساحة كبيرة للاعتقالات السياسية في هذا البلد ؛ فقد التقى الموقع مع الناشط السعودي، ورئيس التحرير المسؤول في جريدة "العرب" الصادرة في لندن عبد العزيز الخميس.

وقال الموقع: "صدرت أحكام سياسية من قبل النظام الذي يُحكم منذ 398 عاماً، بحجة مخالفتهما القوانيين التي لا تجيز الخروج عن ولي الأمر".[219]

وبتاريخ 26. 4. 2013، ورد على موقع "دويشي فيللي" خبراً يفيد أنّ وزير العدل السعودي محمد العيسى، أصدر قراراً بعدم بناء دور عبادة لغير المسلمين في السعودية، الأمر الذي لاقى انتقاداً لاذعاً من قبل أساقفة ألمان.

وفي خبر آخر عن السعودية بتاريخ 24. 3. 2013، أورد الموقع أنّ محكمة سعودية حكمت على شاب لبناني ب 6 سنوات و 300 جلدة، لأنه قام بإقناع فتاة من مدينة الخبر باعتناق المسيحية.

وتحت الخبر، وُضع شريط فيديو مكتوب عليه: "فتاة الخَبُر المنحرفة للمسيحية نعوذ بالله"

6. 5 - فلسطين:

أعطى موقع "دويشي فيللي" اهتماماً كبيراً، للحملة التي أطلقتها حركة "حماس"، ضد الملابس "غير المحتشمة" في قطاع غزة.

[218]- Ibid. 23.2. 2013
[219]- www.dw-berlin.de 11.3. 2013

وقال الموقع: "أطلقت حركة "حماس" في قطاع غزة، حملة "ترسيخ القيم والفضيلة" لمكافحة الزي "غير الملتزم"، وقصات الشعر الغربية للفتيات والشباب، في حين فرضت جامعة "الأقصى" على الطالبات ارتداء الزي الشرعي لما وصفته منع إظهار المفاتن".

وقال الموقع، تضمن المنع الآتي: "منع الملابس والعباءات الضيقة غير المحتشمة للفتيات والسيدات، وقصاتِ وتسريحاتِ الشعر المُسماة "البَف"، وللشبابِ منع البنطلون "الساحل" من الخصر، أو التسريحات وقصات الشعر الغربية".

وبين الموقع: "سيطر أكاديميون من حركة "حماس" في الآونة الأخيرة على إدارة جامعة الأقصى، كُبرى جامعات قطاع غزة، وحدث أن اعتدى أحد رجال حرس الجامعة منذ ثلاثة أشهر مضت على طالبة بدعوى"اللبس غير المحتشم"، واعتبرت إدارة جامعة "الأقصى" أنّ هذا عمل فردي".[220]

وبتاريخ 15. 5. 2013، وعند الساعة 00. 23 مساءً بتوقيت فلسطين، لم يطل "خبر مرور 65 عاماً على النكبة الفلسطينية التي كان من نتائجها تدمير أكثر من 531 مدينة وقرية فلسطينية، وتشريد أكثر من 800 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول المجاورة، واستشهاد حوالي 15 ألف فلسطيني، وارتكاب حوالي 70 مذبحة بحق الشعب الفلسطيني"، لم يطل الخبر سوى 30 ثانية فقط.

وفي اليوم العالمي للاجئين، أورد تقرير بثه تلفزيون "دويشي فيللي" الألماني بتاريخ 20.6. 2013، عند الساعة 00 :21 مساءً، تطرق فيه إلى معاناة اللاجئين في العالم، بالصور والأرقام، دون أنّ يذكر أنّ هناك 5 مليون لاجئ فلسطيني في العالم.

فقد بين التقرير التلفزيوني أنه يوجد 45 مليون لاجئ في العالم، وهو أعلى رقم منذ عشرين عاماً، منهم 85% في الدول النامية.

وبين التقرير أن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا)، أطلقت حملة لمساعدة اللاجئين تحت اسم "حملة عائلة واحدة".

كما ذكر التقرير أن 50% من السوريين يحتاجون إلى جهود للإغاثة.

[220]- www.dw-berlin.de 1.2. 2013

6. 6 - سوريا:

في حوار أجري مع وزير الخارجية الألماني غيدو فيستفلله [221]، رفض تنبؤات سلفه وزير الخارجية الأسبق يوشكا فيشر[222]، بأنه من الممكن أنْ يتولى الإخوان المسلمين السلطة في سوريا، مما يعزز قوة حركة "حماس" في قطاع غزة وبالتالي ينتهي حلم "حل الدولتين"، وقال: إنّ "الثورات تطلق ديناميكية ذاتية ضخمة، والسياسة الخارجية الفعالة معنية باستخدام قدرتنا على التأثير، والأحداث فى سوريا وفى دول أخرى فى المنطقة واضحة جلية للجميع، فى مصر على سبيل المثال، لم يكن بوسع أحد أن يتوقع نشأة حزب ديمقراطى مسيحى شعبى من ثورة عربية، السؤال المحورى هو: هل الأحزاب ذات الطابع الإسلامي على استعداد لدعم التعددية الديمقراطية والدينية؟". [223]

6. 7 - تونس:

كشف تقرير أورده موقع "دويشي فيللي" الألماني بتاريخ 11. 6. 2013، تحت عنوان:

"الفساد وآفاق الحوكمة في تونس ... دعوات لإشراك المواطن في صنع القرار"

بين التقرير أنّ الفاعلين السياسيين الجدد في تونس يسعون بعد الثورة إلى مقاومة الفساد، وتحدث التقرير عن استشراء الفساد في تونس.

فقد بين التقرير أنّ مركز تونس في قائمة الفساد كان عام 2010 (59)، في حين أصبح مركزها عام 2011 (73)، وتصاعد الرقم إلى (75) عام 2012

وأشار التقرير إلى أنّ حركة النهضة الإسلامية التونسية، تؤكد على أولوية مقاومة الفساد مبيناً أنّ الوكالة الألمانية للتعاون الدولي[224]، تنفذ في تونس برنامج تعاون لتعزيز الديمقراطية المحلية.

6. 8 - الجزائر:

بتاريخ 17. 1. 2013، كتب الصحافي الألماني Christoph Sydow، في مجلة "دير شبيغل" تقريراً تحت عنوان "اختطاف رهائن في الجزائر، حرب في مالي، منطقة موت في الصحراء" قال فيه: "حضر

---

[221]- Guido Westerwelle

[222]- Joschka Fischer ,B 90 Grüne

[223]- حوار أجري مع وزير الخارجية في صحيفة "دي فيلت" الألمانية (وتعني العالم) بتاريخ 4. 1. 2013، ونشر على موقع "دويشي فيللي" الألماني بتاريخ 6 .1. 2013، كما نشر على الصفحة الرئيسية في موقع وزارة الخارجية الألمانية.

[224]- GTZ

الجيش الجزائري مع طائرات عمودية، و فتح النيران على حقل غاز، حيث قام هناك إسلامويون إرهابيون بجلب رهائن إلى المكان، كانوا قد اختطفوهم قبل عدة أيام".[225]

6. 9 - إسرائيل:

تشن وسائل الإعلام الألمانية حملة واسعة النطاق، ضد كل سياسي ألماني يحاول أن يقف بجانب الحقوق العربية التي انتهكتها و تنتهكها إسرائيل.

فقد قام زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي[226]، والذي يعتبر من أكبر الأحزاب السياسية الألمانية المعارضة سيجمار غابرئيل[227]، بزيارة إلى مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية، وعندما شاهد المضايقات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي بحق 200 ألف مواطن يعيشون في المدينة من أجل ما يُسمى "الحفاظ على أمن 200 مستوطناً" يعيشون في المدينة، أطلق على ذلك "أبرتهايد"، عندئذ شن سياسيون ووسائل إعلام ألمانية هجوماً شديداً ضده، ما اضطره إلى كتابه السطور التالية على صفحته على"الفيسبوك": "أنا أرى إسرائيل كصديق، وإذا فهمت أقوالي خطأ، فإنه يُوسفني ذلك".[228]

وبتاريخ 20. 6. 2013، أورد موقع "دويشي فيللي" تقريراً مصوراً حول حياة اليهود في العاصمة برلين.

وقد تطرق التقرير بصورة إيجابية جداً ،للحياة الثقافية اليهودية في برلين، وقد عرض جزءاً من بعض المعارض الفنية اليهودية، وجزءاً من دور العبادة والمسارح والمطاعم التي تعرض فيها أعمال فنية لبعض اليهود، إلى جانب من أطباق من المطبخ اليهودي.

لقد عرض التقرير التلفزيوني الحياة الثقافية اليهودية في العاصمة الألمانية، بطريقة حضارية جداً، لا تترك أية صورة سلبية للرأي العام الألماني، كما أظهر التقرير صور تظهر أسماء أشخاص تعرضوا للموت إبان "الهولوكست".

7– النتائج:

1. أسهمت "الثورات العربية" في تغيير صورة العربي إيجابياً لدى الرأي العام الألماني بشكل طفيف خلال عام 2011، و ذلك في أعقاب الحراك الاجتماعي الذي شهدته بلدان عربية، مثل تونس ومصر وليبيا.

[225]- http://www.spiegel.de/politik/ausland/militante-islamisten-in-mali-algerien-mauretanien-und-niger-a-878226.html
[226]- SPD
[227]- Sigmar Gabriel
[228]- مجلة "دير شبيغل"، بتاريخ 18. 4. 2013

2. هذا التغيير سرعان ما تلاشى عام 2012، بعد وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم خاصة في مصر وتونس واستمرار دوامة العنف في سوريا، وهذا الأمر يسهم في التباعد بين الحضارتين والثقافتين العربية والغربية.

3. الاستنتاج الأساسي الذي وصلت إليه الدراسة، هو وجود تأثير غير مباشر بين السياسة والإعلام في ألمانيا.

4. من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في ترسيخ صورة سلبية عن العربي لدى الرأي العام الألماني استمرار حالة التوتر والتنافس التاريخيين بين الديانتين الإسلام والمسيحية.

5. من الأسباب الأخرى، التحيز الأيدولوجي الغربي ضد العرب والمسلمين، كانعكاس للإمبريالية الثقافية الأوروبية.

6. كما لعب اللوبي الصهيوني في ألمانيا دوراً كبيراً، خاصة وأنّه يُسيطر على وسائل إعلام كبرى وشركات اقتصادية، ونفوذ قوي داخل المؤسسات السياسية للدولة، مثل البرلمان.

7. بالإضافة إلى بعض الممارسات السيئة من قبل بعض أبناء الجالية العربية في ألمانيا ،وانخراط هذه الفئة في ممارسة بعض الأعمال الممنوعة قانونياً ،مثل الإتجار بالمخدرات أو التطرف الديني.

8. غالباً ما تتركز الصورة السلبية حالياً عن العربي على قضايا وأمكنة خاصة، مثل صورة المرأة في السعودية، أو "التزمت الديني" في قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة "حماس "، أو ممارسات السلفيين في كل من تونس ومصر.

9. يَفتقد جزءٌ كبيرٌ من الإعلاميين الألمان إلى معلومات كافية عن الصراع العربي – الإسرائيلي على أرض الواقع، بسبب غياب قناة عربية ناطقة باللغة الألمانية.

10. خطاب وسائل الإعلام الألمانية يكتسب سلطته من خارجه، وما تقوم به اللغة ليس أكثر من كونها ترمز لتلك السلطة وبنيتها، فليس شرطاً أنْ يعبر الخطاب عن الرأي العام الألماني، وإنما يُعبر عن القائمين على هذا الخطاب، ومعظمهم من المحسوبين أو المؤيدين للوبي اليهودي.

المراجع:

الكتب بالعربية:

- أحميدة، علي عبد اللطيف 2009: **ما بعد الاستشراق**، مراجعات نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي 1990 - 2007، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- أركون، محمد وآخرون 1994: **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، ترجمة: هاشم صالح ،دار الساقي، بيروت.
- أبو المجد، عبد الجليل؛حارث، عبد العالي2011: **تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة**، أفريقيا الشرق، المغرب.
- أبو عرجة، تيسير 2010: **الإعلام العربي، وسائله ورسائله وقضاياه**، دار مجدلاوي، عمان.
- أبو مطر، محمد عبد الله 2012: **إصلاح النظام السياسي الفلسطيني بين المطالب الداخلية والضغوطات الخارجية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- بلاك، أنتوني 2012: **الغرب والإسلام، الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي**، ترجمة: فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة، رقم السلسة 394
- بن سعيد، المحجوب 2010: **الإسلام والإعلاموفوبيا**، الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، دار الفكر، دمشق.
- تشومسكي، نعوم 2003: **الدّول المارقة، حكم القوّة في الشؤون الدولية**، ترجمة محمود عليّ عيسى، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا.
- الحيدري، إبراهيم 1996: **صورة الشرق في عيون الغرب**: دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي، دار الساقي، بيروت.
- الدعمي، محمد 2006: **الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- رجائي، فرهنك 2010: **الإسلاموية والحداثة، الخطاب المتغير في إيران**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.
- زيادة، خالد 2010: **المسلمون والحداثة الأوروبية**، دار رؤية للنشر،القاهرة.
- ساري،حلمي خضر 1988: **صورة العرب في الصحافة البريطانية**، مركز البحوث العربية، بيروت، لبنان.
- سعيد، إدوارد 2011: **تغطية الإسلام، كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم**، ترجمة: سميرة نعيم خوري، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان.
- سعيد، إدوارد 1994: **الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة كمال ابو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية.
- سعيد، إدوارد 2006: **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد العناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- سعيد، إدوارد 1994: **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة صبحي الحديدي، صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- سوذرن، ريتشارد 2006: **صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى**، ط2، ترجمة رضوان السيد، المدار الإسلامي، بيروت.
- السيد، رضوان وآخرون 2011: **محمد أركون، المفكر والباحث والإنسان**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- الشرفي، سلوى 2010: **تحليل الخطاب، الرسائل السياسية في وسائل الإعلام**، مركز النشر الجامعي، تونس.
- الصادقي، أحمد وآخرون 2011: **التاريخ والتقدم، دراسات في أعمال هشام جعيط**، مركز دراسات الوحدة العربية، كلية الآداب في جامعة الحسن الثاني، بيروت، الدار البيضاء.
- عبد الرزاق، صلاح 2010: **الإسلام في أوروبا، تكيف متبادل بين الأحكام الفقهيه والتشريعات الغربية**، منتدى المعارف، بيروت، لبنان.
- عبد الرزاق، صلاح 2010: **مقالات في المرأة المسلمة والمرأة في الغرب**، منتدى المعارف، بيروت.
- عبد الملك، كمال؛ الكحلة، منى 2011: **صورة أوروبا في الأدب العربي الحديث**، من طه حسين إلى الطيب صالح، دار مدارك.
- عبد اللطيف، كمال 2003، **أسئلة النهضة العربية**، التاريخ – الحداثة- التواصل، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- عبد اللطيف، كمال 2011: **التأويل والمفارقة، نحو تأصيل الحداثة السياسية**، رؤية، مصر.
- عطية ،صلاح 2009 :**الإسلام والغرب**: صراع يبقى أم تقارب ممكن؟ دار الجمهورية للصحافة، القاهرة.
- العلوي، سعيد بنسعيد 2012: **أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة**، رؤية، القاهرة، مصر.
- مسلم، سامي 1985: **"صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية** 1973 – 1975، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- محافظة، علي 2002: **ألمانيا والوحدة العربية 1945- 1995**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- نيلسن، يورغن 2005: **المسلمون في أوروبا**، ط1، الترجمة العربية، دار الساقي، مركز البابطين للترجمة، بيروت، الكويت.
- هارلند، ريتشرد 2009: **ما فوق البنيوية، فلسفة البنيوية وما بعدها**، ط2، ترجمة لحسن أحمامة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.
- هيغل 1984: **العالم المشرقي**، الجزء الثاني، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت.
- ياسين، صباح 2006: **الإعلام، النسق القيمي وهيمنة القوة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ---------- 2004: حقائق عن ألمانيا ،صادر عن وزارة الخارجية الاتحادية الألمانية.

الكتب بالإنجليزية:

- Irwin, Robert 2006: For Lust of Knowing: The Orientalists and their Enemies :Penguin Books, United Kingdom.
- Nielsen, Jorgen 1992: Muslims in Western Europe, Edinburg University Press.

الكتب بالألمانية:

- Tibi, Bassam 2003: Die fundamentalistische Herausforderung, Der Islam und die Weltpolitik, VerlagC.H.Beck, München.

الطيبي، بسّام 2003: **التحديات الأصولية، الإسلام والسياسة الدولية**، ميونخ، ألمانيا.

- Tibi, Bassam 2003: Die fundamentalistische Herausforderung, Der Islam und die Weltpolitik, VerlagC.H.Beck , München.

الطيبي، بسّام 2003: **التحديات الأصولية، الإسلام والسياسة الدولية**، ميونخ، ألمانيا.

- Tibi ,Bassam 2009: Euro-Islam, Die Lösung eines Zivilisationskonfliktes, Wissenschaftl.Buchgesell

الطيبي، بسّام 2009: **الإسلام الأوروبي، حل صراع الحضارات**، ألمانيا.

- Röhrich ,Wilfried 2004: Die Macht der Religionen,Glaubenskonflikte in der Weltpolitik,VerlagC.H.Beck,München.

رورش، فيلفريد 2004: **قوة الأديان، النزاعات الدينية في السياسة الدولية**، ميونخ، ألمانيا.

- Ewaida, Bassam 2013: Die Bewegung Hamas zwischen Theorie und Praxis, Südwestdeutscher Verlag für Hochschulschriften.

عويضة، بسّام 2013: **حركة حماس بين النظرية والتطبيق**، دار سود فيست دويشلاند للنشر.

- Wisnewski,Gerhard 2003: Operation 9.11 Angriff auf den Globus, Droemer Knaur, München.

فيسنيفسكي 2003، جيرهارد: عملية 11. 9 ،اعتداء على الأرض، ميونخ، ألمانيا.

- Pott, Marcel 2012: Der Kampf um die arabische Seele, Der steinige Weg zur islamischen Demokratie, Kiepenheuer und Witsch.

بوت، مارسل 2012: **النضال من أجل التطور العربي**، طريق صعب نحو الديمقراطية الإسلامية.

- Lüders, Michael 2012: Tage des Zorns, Die arabische Revolution verändert die Welt ,C.H.Beck.

لودرز، ميشائيل 2012: **أيّام الغضب** - الثورة العربية تغيِّر العالم، دار النشر الألمانية بيك.

- Lüders , Michael 2007: Allahs Langer Schatten ,Warum wir keine Angst vor dem Islam haben müssen, Herder, Freiburg.

لودرز، ميشائيل 2007: **ظل الله، لماذا يجب ان لا نخاف من الإسلام؟**، دار النشر الألمانية هيردر،فرايبورغ.

- Huber, Monika, Fischer, Susanne 2012: "News - The Televised Revolution", Hirmer Verlag, München .

هوبر، مونيكا؛ فيشر، سوزانه 2012: **ثورة الأخبار المتلفزة**، دار النشر هيرمر، ميونخ ،ألمانيا.

- Huntington, Samuel P. 2002: Kampf der Kulturen,Goldmann Verlag, München.

هنتغتون، صموئيل 2002: **صراع الثقافات**، دار النشر كولدمان، ميونخ، ألمانيا.

- Diner , Dan 2007: Versiegelte Zeit über den Stillstand in der islamischen Welt , List Taschenbuch , Berlin.

دينر، دان 2007: **زمن في الزمن الراكد في العالم الإسلامي**، دار النشر ليست تاشنبوخ، برلين، ألمانيا.

أطروحات ماجستير:

- حميدان، زياد محمد 2010: "بنية خطاب حركة حماس، قراءة سوسيولوجية"، أطروحة ماجستير، إشراف: د.إسماعيل الناشف، كلية الدراسات العليا، جامعة بيزيت، غير منشورة.

دراسات:

- دراسة مسحية لصحف ودوريات إنجليزية وفرنسية وألمانية وعربية، حالة حوار الثقافات في العالم، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، العدد 4، شهر نيسان،2011

صحف عربية:

- صالح، هاشم: ما أحوجنا إلى هيغل عربي، صحيفة الشرق الأوسط، لندن ،السبت، 29 .6. 2013، العدد 12632، صفحة الرأي.
- عويضة، بسّام: "الإسلام وعد الإنتحاريين بالجنة والحوريات: صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي"، صحيفة "القدس"، القدس، 2. 10. 2001

- عويضة، بسّام: "الحكومة الألمانية تقيم نصباً تذكارياً لليهود من ضحايا النازية وسط برلين"، صحيفة "القدس"، القدس، 7. 10. 2001
- ----------: "مسلمو برلين تحت وطأة الشعور بالإشتباه بعد هجمات أمريكا"، صحيفة القدس، وكالة الأنباء الألمانية (د ب ا)، القدس، 1. 10. 2001
- ----------: "التقرير السنوي للمخابرات الألمانية يحذر من نمو الحركات الأصولية، الأتراك والتنظيم العالمي للإخوان المسلمين الهدف القادم"،صحيفة القدس، القدس، 12. 11. 2001

صحف ألمانية:

- Berliner Zeitung,1.10.2001

المجلات:

- البرعوثي، إياد وآخرون 2000: مجلة الإسلام السياسي، مركز أبحاث الشرق الأوسط، العدد 29، عمان.
- حمد، أمير: "عمدة نويكلن يبرر فشله بالهجوم على الجانب"، مجلة الدليل، برلين، العدد 14، شباط، 2013
- الصويص، هارون 2010: "تاريخ العرب في برلين"، مجلة العرب في برلين، ط 3، صادرة عن مفوضة الهجرة والإندماج، برلين.
- مجلة "شؤون فلسطينية" مركز الأبحاث الصادر عن منظمة التحرير الفلسطينية، العدد 248، ربيع 2012
- مجلة "دير شبيغل" الألمانية
- مجلة التبادل الثقافي الألمانية "قنطرة"

قنوات تلفزية:

- تلفزيون 24 الألماني.

مواقع الكترونية:

- www.der Spiegel.de
- www.dw-berlin-online.de
- http://ar.qantara.de
- www.rrb-online.de

- حاجي، خالد 2008: قراءة في واقع الصحافة الألمانية: دير شبيغل نموذجاً، موقع مركز الجزيرة للدراسات التابع لقناة "الجزيرة".

- www.n24.de

المقابلات:

1. بدر محمد، من نشطاء الجالية العربية في الأحزاب السياسية الألمانية، برلين، 18. 4. 2013

2. أبو حسن معروف، من المركز الألماني – العربي للإندماج والتعليم وأحد نشطاء الجالية الفلسطينية، برلين، 18. 4. 2013

3. حكم عبد الهادي، صحافي من إذاعة "دويشي فيللي"، بون، 3. 6. 2013

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com